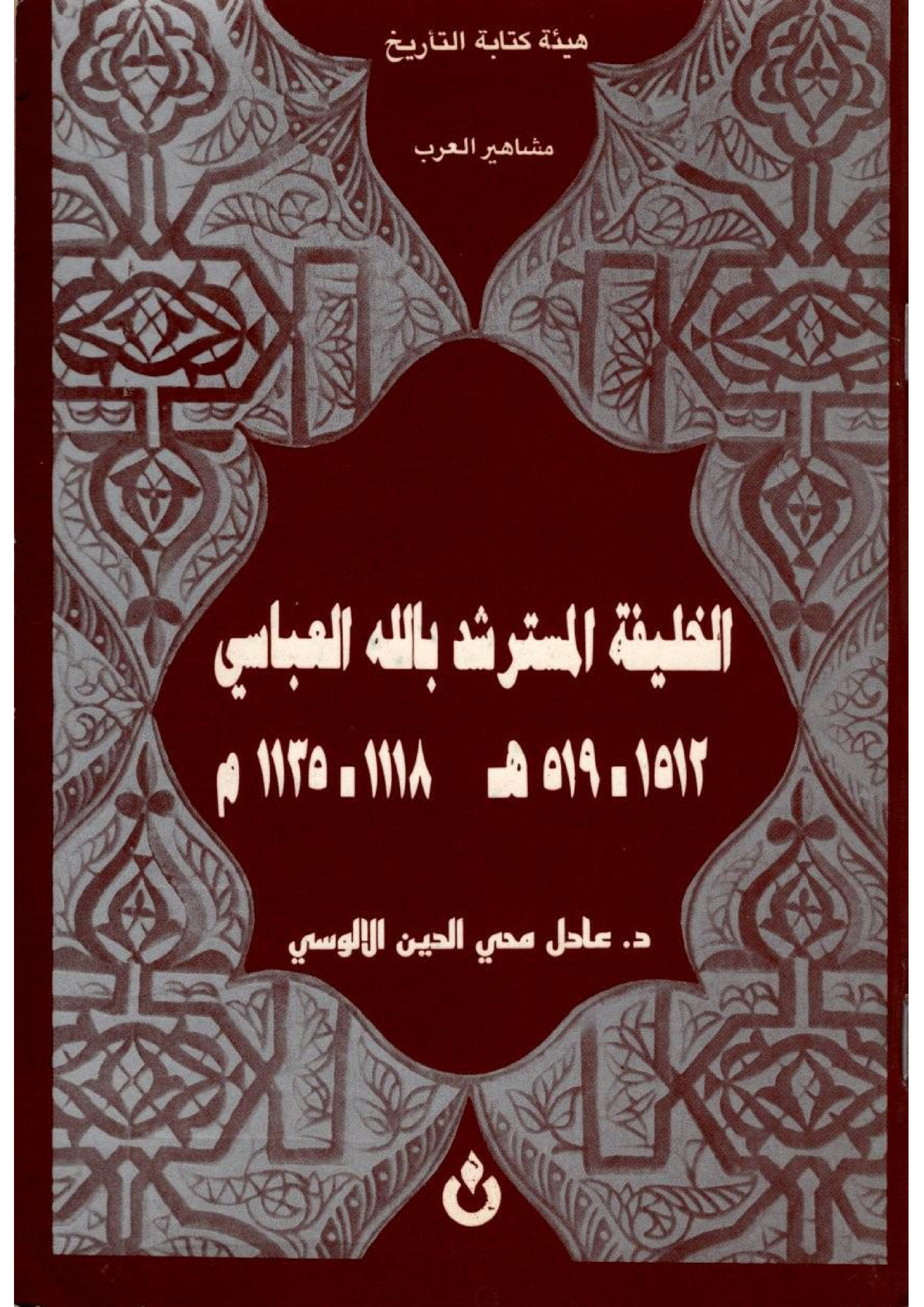

هيئة كتابة التأريخ
مشاهير العرب
الخليفة المسترشد بالله العباسي
١٥١٢ ـ ٥١٩ هـ ١١١٨ ـ ١١٣٥ م
د. عادل محي الدين الآلوسي


وزارة الثقافة والاعلام
دار الشؤون الثقافية العامة
بغداد ١٩٨٩



طباعة ونشر

دار الشؤون الثقافية العامة «آفاق عربية»

رئيس مجلس الادارة :

الدكتور محسن جاسم الموسوي

تعنون جميع المراسلات

باسم السيد رئيس مجلس الادارة

العنوان :

العراق - بغداد - اعظمية

ص . ب . ٤٠٣٢ - تلكس ٢١٤١٣ - هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

٢٩/ربيع الثاني/١٤١٠
٢٧/١١/١٩٨٩

هيئة كتابة التاريخ

مشاهير العرب الاسلامي

الخليفة المسترشد بالله العباسي

٥١٢ - ٥١٩ هـ

١١١٨ - ١١٣٥ م

تأليف

د . عادل محيي الدين الالوسي

الطبعة الاولى لسنة - ١٩٨٩

مقدمـــة :

يتناول بحثي هذا الخليفة المسترشـد بالله ابـا منصور الفضل بن ابي العباس احمد بن المستظهر بالله ، الذي تـولى الخـلافة مـدة تقرب من عشـرين سنة (٥١٢ / ٥٢٩ هـ / ١١١٨ ـ ١١٣٥ م) ، قضى معـظمها في محـاربة السـلاجقة المحتلين وامراء المزيديين والاتابكة في الموصل ، ومعالجة الاحوال الاقتصادية السيئة التي هي حصيلة حاصل التسلط الاجنبي السلجـوقي ، رائـده في ذلك حب الاستقـلال والتخـلص من السيطرة الاجنبية واعادة هيبة الخلافة العباسية .

ان الباحث في هذا المـوضوع يجـد نفسه امـام تاريـخ عسكـري حـافـل بـالاحـداث والتحـديـات والانتصـارات والانكسارات ، وهذا ما نجده واضحا في خلافة المسترشد بالله ، لانه يمثل محاولة رائدة وفريدة وجـادة راودت اذهان الخلفـاء العبـاسيين طوال مـدة سيطرة السـلاجقة عـلى شؤون الدولة العباسية ، ومن هنا كانت اهمية هذا الخليفة النازع للاستقلال والمتحدي للسيطرة السلجوقية .

املي وطيد في ان اوفق في جهدي المتواضع الذي بين يديك قارئي العزيز والله من وراء القصد .

د . عادل محيي الدين الالوسي

توطئة عامة :

عانت الدولة العباسية خلال القـرنين الرابـع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميـلادي من ضعف وتمزق شـديدين عـلى المستوى الداخـلي والخارجي ، فعـلى المستوى الخارجي تفاقم خـطر الكيانـات السياسيـة التي استقلت عن السلطة المـركزيـة المتمثلة بـالدولة العبـاسيـة ، ففي المغـرب الاسلامي اقام الامويون كيانا لهم في الاندلس ونافسوا الخلافة العباسية في عهد عبدالرحمن الناصر الذي حكم مدة نصف قرن (٣٠٠ ـ ٣٥٠ هـ / ٩١٢ ـ ٩٦١ م) ولقب نفسه بالخليفة ، واتخـذ الادارسة من فـاس بمـراكش مـركـزاً لهم للمـدة من (١٧٢ ـ ٣٦٤ هـ / ٧٨٨ ـ ٩٧٤ م) في حين جعل الاغالبة (١٨٤ ـ ٢٩٦ هـ / ٨٠٠ ـ ٩٠٩ م) مـن القيروان حاضرة لهم ، وعلى اعقابهما اقام الفاطميون كيانهم في شمال افريقيا (٢٩٧ ـ ٣٥٨ هـ / ٩٠٩ ـ ٩٦٩ م) ، اما في مصر فقـد قامت الدولة الطولونيـة بزعـامـة احمـد بن طولون (٢٥٤ ـ ٢٩٢ هـ / ٨٦٨ ـ ٩٠٥ م) وبسطت نفوذهـا الى سـوريـا ، وتـلتـهـا الاخـشـيـديـة (٣٢٣ ـ ٣٥٨ هـ / ٩٣٥ ـ ٩٦٩ م) التي اسسها محمد بن طفج الاخشيد بتقليد من الخليفة الراضي العباسي ، وبعدها آلت الامور الى الفاطميين الذين تمركزوا في مصر منذ سنة ٣٥٨ هـ / ٩٦٩ م .

امـا في المشـرق الاسـلامي فقـد اقـام الطاهـريـون[١] (٢٠٥ ـ ٢٥٩ هـ / ٨٢٠ ـ ٨٧٢ م) الذين ينـسبـون الى طاهر بن الحسين كياناتهم في خراسان واتخذوا من مصر عاصمة

لامارتهم ، ثم الصفارية[٢] (٢٥٤ ـ ٢٩٠ هـ / ٨٦٧ ـ ٩٠٣ م) نسبة الى يعقوب بن الليث الصفار ، وامتد نفوذها ليشمل ايران واجزاء من الهند ، وهاجمت العراق لاسقاط الخلافة العباسية زمن المعتمد على الله الا ان صلابة الدفاع العراقي الحقت هزيمة منكرة للغزاة الصفارين في معركة دير العاقول الحاسمة بالقرب من النعمانية الى الجنوب من بغداد . وفي بلاد ما وراء النهر وطد نصر بن احمد الساماني امارته السامانية (٢٠٤ ـ ٣٩٥ هـ / ٨١٩ ـ ١١٠٤ م) ومركزها بخارى .

وللمدة من (٣٥١ ـ ٥٨٢ هـ / ٩٦٢ ـ ١١٨٦) تمكن البتكين التركي من تأسيس امارته الغزنوية التي اتخذت من غزنة قاعدة للتوسع في بقية اجزاء افغانستان والبنجاب والاجزاء الغربية من الهند .

هناك امارات صغيرة نذكر منها الزيدية في طبرستان (٢٥٠ ـ ٤٢٤ هـ) والساجية في اذربيجان (٢٦٦ ـ ٣١٨ هـ) والدلفية بكردستان (٢١٠ ـ ٢٨٥ هـ) والرسية في اليمن (٢٨٠ ـ ٧٠٠ هـ) واليعفرية في صنعاء (٢٤٧ ـ ٣٨٧)[٣] .

وبحلول القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي ، تنازعت العالم العربي الاسلامي ثلاث قوى ، العباسيون اصحاب السلطة الشرعية واعني بها الخلافة في بغداد ، والفاطميون في القاهرة بمصر والامويون في قرطبة بالاندلس .

وعلى المستوى الداخلي ورثت الخلافة العباسية تركة ثقيلة

خلفتهـا الانقسامـات القبليـة والعنعنـات الدينيـة والفـوارق الاجتماعية ، وتفـاوت الخلفاء العبـاسيون انفسهم بـين القوة والضعف ، والتدخلات الاجنبية الفارسية والتركية ، فالفـرس حاولوا ومنذ قيام الدولة العباسية ان يبنوا كيانا سياسيا عـلى حساب الدولة الجديدة التي انعمت عليهم واسندت اليهم بعض الوظائف الادارية ، وكتعبير عن خيبة املهم في العباسيين الذين تمسكوا بعروبتهم لجأوا الى القيام بحركات مُسلّحة ذات طابع هدمي وتحريفي تستهدف القضاء على السلطان العربي الذي تمثله الدولة العباسية وتشويه الدين الاسلامي الذي حمل لواءه العرب الى كل الاصقاع ومنها بلاد ايران . الا ان هذا الاسلوب الفارسي المفضوح لم يجد نفعا ولم يحقق مطمحاً امـام الموقف الحازم الذي وقفته الخلافة العباسية المدعمة بالتأييد الشعبي والجهادي عند العرب المسلمين ، ازاء هذا الفشل الذريع الذي منيت به تلك الحركات مع كثرتها وتعدد اساليبها ، عمد الفرس العنصريون هذه المرة الى اشاعة روح الانقسام المتعدد الاشكال تمشيا مع اسلوبهم الجديد وسياستهم في تفتيت البنية الداخلية للمجتمع العربي اضعـافا للمـوقف العباسي . وتنـدرج في هذا الاطار الحركات المشبوهة التي قام بها ابو سلمة الخلال وابو مسلم الخراساني والبـرامكة وبنـو سهل ومن لف لفهم والتي اسهمت بشكل او بآخر في اذكاء الفتنة العمياء بين الامين واخيه المأمون (١٩٣ ـ ١٩٨ هـ) ، هذه وتلك في مجملها افضت ان ينافس الفرس الدخلاء العرب الاصـلاء اجتماعيـاً وسياسيـاً ودينياً وثقافياً وهو ما عرف بـ (الحركة الشعوبية) في العصر

العباسي الثاني .

اما الترك فقد تسللوا الى جسم الدولة العباسية تحت ظروف طارئة املتها الظروف السياسية والعسكرية ورغبة الخليفة المعتصم في تكوين جيش قوي منهم بعد ان استنفدت الصراعات المستمرة العنصرين العربي والفارسي فضلا عما عرف به هؤلاء الترك المستقدمون من بداوة وجندية وهم لا شك عنصر خام خالص الولاء لشخص الخليفة الذي اغدق عليهم مختلف النعم والرتب ، فكان ان انتقل بهم الى سامراء ليجعلها عاصمة جديدة للدولة العباسية والتي صارت مرتعا لهم ولابنائهم وتدريجيا وفي ظل حكم الخلفاء الضعفاء صار هؤلاء الترك ولا سيما العسكريون منهم مراكز قوة تكاد تطغى احيانا على الخلافة نفسها ان لم تتنازع معها في اكثر الاحيان ، ولعل ظهور منصب امرة الامراء الذي خلعه الخليفة الراضي بالله على عامل البصرة محمد بن رائق سنة ٣٢٤ هـ غاية ما احرزه الترك من تدخل مباشر في شؤون الخلافة ، وجاء الغزو البويهي للعراق واحتلالهم بغداد سنة ٣٣٤ هـ نتيجة متوقعة لحالة الضعف والانقسام التي المحت اليها اعلاه .

وفي ظل السيطرة البويهية فقدت الخلافة العباسية كثيرا من اختصاصاتها ومراسمها وتقاليدها التي تأصلت في مؤسسة الخلافة منذ وفاة الرسول (ص) بوصفها مؤسسة تجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية وحقيقة الامر احتفظ الخليفة بمركزه الديني وفقد الجزء الاكبر من مركزه السياسي والعسكري .

هذا الضعف الذي اناخ بكلكله على كل معسكرات العالم العربي الاسلامي ابان القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي اسهم في ظهور السلاجقة على مسرح السياسة الدولية آنذاك وبسر لهم انشاء دولة قوية امتد نفوذها ليشمل الخلافة العباسية التي اتخذت من العراق مركزا لها ومن بغداد حاضرة لدولتها . وجدير بالذكر ان السلاجقة قبائل تركية تسمى (الاغوز) ثم خففت الى (الغز) وينسبون الى عشيرة كباك Kabak ومنذ القرن الثاني والثالث الهجريين / الثامن والتاسع الميلاديين ، بدأت تهاجر من اقصى التركستان تحت ظروف قاهرة مثل ظهور قبائل اخرى اقوى منها او لسوء احوالهم الاقتصادية . وسموا بالسلاجقة نسبة الى رئيسهم سلجوق بن دقاق او تقاق الذي عرف باسم « تومور بالوق » التي تعني « القوس الحديدي »[٤] ، وهو احد امراء التركمان ورئيس قبيلة تركمانية من بطون احد القبائل الاوغزية التركية القاطنة في صحراء قيرغزيا ، ولد في قرية من قرى تركستان ، وقد تمكن احد احفاده من اقامة الدولة السلجوقية . وفي سنة ٣٤٥ هـ اندفعت هذه القبائل السلجوقية من سهول تركستان لتحط رحالها في بلاد ما وراء النهر ودخلت في الاسلام وعمل سلجوق وابناؤه في خدمة السامانيين ، وفي عهد طغرل بن اسرائيل بن سلجوق قامت دولتهم السلجوقية في خراسان وامتد نفوذهم الى بلخ وجرجان وطبرستان وخوارزم وهمدان والري واصفهان ، وصار لهم وجود سياسي ملحوظ ، في هذه الاثناء كان الخليفة القائم بامر الله العباسي يئن تحت حكم البويهيين ولا سيما

صنيعتهم البساسيري[٥] . الذي استأثر بالامور وقبض على الخليفة وسجنه في الحديثة وسعى الى قتل رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي استنجد بطغرلبك واذن له بدخول بغداد سنة ٤٤٧ هـ منهيا بذلك عهدا من عهود السيطرة الاجنبية الفارسية واعني به التسلط البويهي الذي دام قرنا ونيفا من السنين ، ومعلنا حلول مرحلة جديدة من التسلط الاجنبي ممثلاً بالغزاة السلاجقة الذين لا يختلفون عن اسلافهم البويهيين في شيء وان كانوا قد تظاهروا بطاعة الخليفة ما دام في دائرة نفوذهم يأتمر بأمرهم ، واذا ما حاول خليفة الخروج عن طاعتهم سلطوا عليه من قتله او عزله او طرده نذكر في هذا الصدد ان الخليفة المقتدر بالله (٤٦٧ ـ ٤٨٧ هـ) عزل وزيره عميد الدولة تحقيقا لرغبة السلاجقة ، وعزل وزيره ابا شجاع بطلب من ملكشاه السلجوقي ولما حاول هذا الخليفة التدخل في الحكم امر بطرده من بغداد سنة ٤٨٥ هـ قائلا له : « لا بد ان تترك بغداد وتذهب الى اي بلد شئت ، فانزعج الخليفة وقال : امهلني ولو شهرا ، قال : ولا ساعة واحدة ، فارسل الخليفة الى الوزير السلجوقي يطلب المهلة عشرة ايام ، الا ان المرض عاجل السلطان فمات ، فعد ذلك كرامة للخليفة »[٦] .

وبوفاة ملكشاه ، نشأ صراع طويل بين ابنائه ، كان موقف الخليفة خلاله موقف الضعيف الذي ينتظر نتيجة المعركة ليقف الى جانب الغالب ، من ذلك موقف الخليفة المستظهر بالله (٤٨٧ ـ ٥١٢ هـ) من الصراع الطويل الذي نشب بين بركياروق وبين محمد بن ملكشاه ، يأمر باقامة الخطبة لمن يدخل

منهما بغداد ، ففي سنة ٤٨٦ هـ خطب لبركياروق ثم في سنة ٤٩٢ لاخيه محمد ثم لبركياروق سنة ٤٩٣ هـ واعاد الخطبة لمحمد في السنة نفسها ، ولما انتصر بركياروق في النهاية ، ارسل اليه الخليفة من يستقبله واعاد الخطبة له[٧] .

في هذه الظروف القاهرة والاضاع السيئة ، برز صاحبي الذي اترجم له واعني به المسترشد بالله الذي كان انموذجاً للخليفة الثائر الرافض للتسلط الاجنبي مهما كانت انواعه وادعاءاته ، والسياسي البارع الذي يستذكر الاحداث ويمحص الامور ويستغل ظروف الانقسام الذي رافق السلاجقة وهم يتصارعون على السلطنة ، والعسكري المحنك الذي جنّد نفسه لتكوين جيش او قلْ عسكر يمضي به لمحاربة المتسلطين الاجانب من السلاجقة وبالتالي طردهم خارج حدود العراق ، والمسترشد في هذا المجال رائد وان كان الحظ لم يحالفه ، فقد شاءت الاقدار ان يقتل وهو في عنفوان طموحه من قبل زمرة شريرة موالية للسلاجقة ، وبذلك يكون المسترشد بالله قد نجح في تكوين رأي عام من البغاددة والعراقيين معاد للسلاجقة بصفتهم غزاة متسلطين ، وبعد وفاته ترك جبهة شعبية عريضة تنتهج اسلوب الكفاح المسلح المعادي للسلاجقة يمثله ابنه الراشد بالله ومن ثم أخوه المقتفي لامر الله ومن وقف الى جانبهما من العامة والفقهاء والمثقفين[٨] .

سـيرته الذاتيـة :

اسمه الفضل بن ابي العباس احمد (المستظهر بالله) بن ابي القاسم عبدالله (المقتدي بامر الله)[٩] وشأنه شأن بقيـة خلفاء بني العباس الذين عرفوا بـالقابهم الى جـانب اسمائهم وكنيتهم ، فقد كني بابي منصـور ولقب بالمستـرشد بـالله وبه عرف[١٠] . ولد في اواخر خـلافة جـده المقتدي لامـر الله ، وقد اختلف المؤرخون في تحديد تاريخ ولادته بشكل دقيق ، فـابن الاثير يحدده بالثامن عشر من يوم الاربعاء المـوافق سنة ست وثمانين واربعمائة[١١] . وابن الجـوزي يؤرخـه بيوم الاربعـاء المـوافق الرابع من شهـر ربيـع الاول سنـة اربـع وثمـانـين واربعمائة[١٢] . في حين ان صاحب مرآة الزمان يحدد مولده بليلة الاربعاء الرابع والعشرين من ربيع الاول ، ولكنه لا يحدد السنة وانمـا يذكـر سنـوات ٤٨٤ ، ٤٨٥ ، ٤٨٦ هـ[١٣] . امـا ابن العمراني فيذكر ان مولد المستـرشد بـالله كان في يـوم الاثنين السابع من شعبان سنة ٤٨٦ في حياة المقتدي لامر الله[١٤] . اما صاحب النجوم الزاهـرة فيذكـر انه ولد في حـدود سنة خمس وثمـانين واربعمـائـة[١٥] . وامـه ام ولد تسمى (لبـابـه) او (طرفة)[١٦] ، وقيل انها تسمى (كمش)[١٧] . خطب ابـوه له بولاية العهد ونقش اسمه على السكة منذ ولادته وظل وليا للعهد مدة ثلاث وعشـرين سنة قبـل ان يبايعـه الناس خليفـة سنة ٥١٢ هـ وهي السنة التي توفي فيها ابوه المستظهر بالله[١٨] .

سمع الحديث من ابي القاسم بن بيان وعبدالوهاب بن هبة الله السبتي ، وروى عند محمد ابن عمر بن كلي الاحوازي

ووزيره علي بن طراد الزينبي ، واسماعيل بن طاهر الموصلي ، وكان يلقب حينئذ بلقب (عمدة الدنيا والدين) وقد تنسك في شبابه ولبس الصوف وانفرد في بيت العبادة ببغداد . وكانت للمسترشد بالله حظوة كبيرة لدى ابيه الخليفة لما امتاز به من صفات لم تكن موجودة عند اخوانه الاخرين وهم : ابو عبدالله محمد وهو المقتفي لامر الله وابو طالب العباسي وابراهيم وعيسى واسماعيل[١٩] .

صفاتــه :

وصف المسترشد بالله بفحل بني العباس ونجيبهم وفاضلهم وكاتبهم واشجعهم[٢٠] وان له نفسا ابية عزيمةً عربية قرشية هاشمية ، يسمح بالاموال ، ويخرج بنفسه للقتال ، ويضرب بسيفه هام الرجال ، وينظم الشعر ، ويجيد قرضه ، ويعلم الشعراء واجب ادب الخلافة وفرضه ، وقصته مع الشاعر الحيص بيص[٢١] مشهورة وعند الرواة مدونة مذكورة ، وهو الاستاذ الامير اللغوي شهاب الدين ابو الفوارس بن الصيفي التميمي الملقب بحيص بيص ، وكان كلقبه يعطي لبذاءة لسانه لا لادبه ، علم في الهجو ، جاء الى المسترشد بالله وانشد بين يديه[٢٢] :

منعت القرى ان لم أقدها عوابسا
تثير عجاج المأزق المتضايق
خوارج من ليل الغبار كأنها
رجوم نجوم او سهام حراشق

تـجـانـف عـن ورد الـغـلاة ظـمـيـئـة
فـلا ورد إلاّ مـن دمـاء الفـيـالق
دعـوت تـمـيـمـا والرجـال بـعـيـدة
وقـد ضـقـت ذرعـا بـالخـطوب الطوارق
فـقـام بـنـصـري من قـريش مـمـجـد
شـديـد مضـاء البـأس سهـل الخـلائـق

وقال في امير المؤمنين مائة بيت نظما وسبع رقاع نثرا ، تذاد عن النجح ذياد العاطفات كلا فالابوة نبوية ، والاعراق عباسية ، واليقظة لوذعية ، وكفى بالمجد محاسبا[٢٢] :

مـاذا اقـول اذا الرواة تـرنـمـوا
بـفـصـيـح شـعـري في الامـام العـادل ؟
وتـرنـحـت اعـطافـهـم فـكـأنـمـا
في كـل قـافـيـة سـلافـة بـابـل
واسـتـحـسـن الشـعـراء نـظم قـصـيـدة
لاجـل مـمـدوح وافـضـل قـائـل
ثـم انـثـنـوا ، غـب النـشـيـد وظمئـه
يـتـسـاءلون عـن النـدى والنـائـل
هـب ، يـا امـير المـؤمـنـين ، بـانـني
قس البـيـان ، فـمـا جـواب السـائـل ؟

ثم افصح عما يريد ويسأل ، وهو ان تكون بعقوبا جائزة له كما كانت الموصل والايغازين جائزتين للشاعرين ابي تمام والبحتري من قبل المعتصم بالله والمتوكل على الله ، فجاء جواب المسترشد بالله تهكما في حاله واستخفافا بقدره في اقواله وافعاله

وادعاءاته ، وكان الحيص بيص في بعض احيانه يتقلد سيفين ويعتقل رمحين ، ويعتم على طرطور احمر تشبها في لوثة اعرابية ، بربيعة او مضر ، ويدعي انه على طبع العرب العرباء ، وجدير بالذكر ان جواب الخليفة جاء شعرا نذكر منه[٢٤] :

ومضى الجواب بها وبان العنطب
وتدأدات ارسابها والهيدب
ونطت فانطت فاستنط مزارها
وسرت فادركها السهام المطنب
وتغورت وتميأرت واستغورت
دفع الدكادك واستبان الاخلب
ولربما جرت الامور ببايق
بانت فجيعتها وبان الخلب
فالهجن والطمع المتيه باهله
رزء بها تضناخها يتضبضب
رد النوان من المياقة فاتئد
يا ابن الزنيم وكن بها تتأدب

وكان المسترشد بالله شهماً شجاعاً ذا همة ومعرفة وعقل ، مشتغلا بالعبادة ، سالكا في الخلافة سيرة اسلافه الصالحين[٢٥] ، فارساً قاد الجيش بنفسه ، نازعا الى الاستقلال والتخلص من السيطرة السلجوقية ، محبا للثقافة ، درس الحديث على يد اشهر علماء عصره ، قارضا للشعر ، من ذلك قوله :

انا الاشقر المدعوّبي في الملاحم

ومن يملك الدنيا بغير مزاحم

مما يدل على انه كان اشقر اللون[٢٦] . وكان فصيحا بليغا حسن الخط ، قال عنه ابن الاثير « ولقد رايت خطه في غاية الجودة ورأيت اجوبته على الرقاع من احسن ما يكتب وافصحه »[٢٧] ، ذا هيبة وجلال ووقار يحترمه عدوه قبل صديقه ، مدحه ابو المظفر الهاشمي بعد ان فرغ من احدى خطبه في العيد ، قائلا[٢٨] :

عليك سلام الله يا خير من علا

على خبر قد حف اعلامه النصر

فلله عصر انت فيه امامنا

ولله دين انت فيه لنا الصدر

ومدحه وزيره جلال الدين الحسن علي بن صدقة ، بقوله[٢٩] :

وجدت الورى كالماء طعما ورقة

وان امير المؤمنين زلاله

وصورت معنى العقل شخصا مصورا

وان امير المؤمنين مثاله

ولولا مكان الدين والشرع والتقى

لقلنا من الاعظام جل جلاله

يستدل من شعره انه كان شديد الاعتزاز بنفسه وبشجاعته على وجه الخصوص من ذلك قوله[٣٠] :

ستبلغ ارض الروم خيلي وتنتفي

باقصى بلاد الصين بيض صوارمي

وقوله لما أسر بيد السلاجقة[٣١] :

فيا عجبا للاسد ان ظفرتْ بها

كلابُ الاعادي من فصيح واعجم

فحربة وحشي سقت خمرة الردى

وحوت علي من حسام ابن ملجم

ومع كل ما احاطت به من منازعات وحروب ، فقد احتفظ المسترشد بشخصية وهيبة وعلو منزلة وسلطة دينية قلما تتوفر عند غيره من الخلفاء الذين سبقوه من عهد المنتصر بالله[٣٢] ، « ضبط امور الخلافة ورتبها على احسن وجه واحيا رسم الخلافة ونشر نظامها وشيد اركان الشريعة وطرز اكمامها ونظم الجيش العباسي وباشر قيادته بنفسه »[٣٣] .

وقد حاول ان يعيد مجد اهل بيته بالتخلص من سلطة السلاجقة ، وتوحيد بلاده بالقضاء على كل الامارات سواء ما كان منها في الحلة او الموصل او واسط ولكن الاقدار حالت دون تحقيق ذلك .

خلافته :

بويع المسترشد بالله خليفة بعد موت المستظهر بالله بثلاثة ايام اي بعد الفراغ من العزاء على الرسم والعادة[٣٤] . وكان ذلك في يوم الخميس الرابع والعشرين من ربيع الآخر سنة اثنتين وعشر وخمسمائة للهجرة[٣٥] . وقد بايعه اخوانه وعمومته بنو

المقتفي لامر الله والفقهاء والقضـاة والائمة والاعيـان وارباب الدولة ولم يشذ عنهم الا اخوه ابو الحسن ، وكان المتولى لاخذ البيعة قاضي القضـاة عماد الدين ابـو الحسن علي بن محمـد الدامغاني[٣٦] . وفي رواية اخرى ان الذي تولى اخذ البيعة على الناس القاضي الاكمل ذو الحسبين ابو القاسم علي بن نور الهدى ابي طالب الزينبي وشرف الدين نقيب النقباء ذو الفخرين ابو القاسم علي بن ابي الفوارس طراد بن محمد الزينبي[٣٧] .

ذكر صاحب المنتظم نقلا عن خط ابي الوفاء بن عقيل ، انه لما ولي المسترشد بالله تلقاني ثلاثة من المستخدمين يقول كل منهم قد طلبك امير المؤمنين فلما صرت بالحضرة قال لي قاضي القضاة وهو قائم بين يديه ، مولانا امير المؤمنين ثلاث مرات ، فقلت ذلك من فضل الله علينا وعلى الناس ثم مـددت يدي فبسـط لي يده الشريفة فصافحت بعد السلام وبايعت ، فقلت : ابايع سيدنا ومولانا امير المؤمنين المسترشد بالله على كتاب الله وسنة رسوله وسنة الخلفاء الراشدين .. »[٣٨] ، وعمره انـذاك حوالي سبـع وعشـرين سنة ، وعـاش عمرا نـاهز اربعـا واربعين عـامـا ، وبالتحديد ثلاثا واربعين سنـة وثلاثـة اشهر وثمـانية ايـام .. ودامت خلافته سبع عشرة سنة وسبعة اشهر[٣٩] .

الوزارة والقضاء في عهده :

لم يكن للوزارة ابان هذه الحقبة شأن يذكر ، ذلك انه كان في الدولة ، وزيران احدهما للخليفة وآخر للسلطان السلجوقي ، وقد اتخذ بعض الامراء وزراء لهم كالذي فعله دبيس بن صدقة

والامير ابو الحسن الذي جعل من ابي دلف بن زهمويه وزيرا له . وقوة كل وزير من قوة صاحبه ، مع ذلك فانه لما تولى المسترشد بالله الخلافة قرر امر الوزارة على ربيب الدولة نظام الدين ، وكان باصفهان وابنه ينوب عنه في بغداد ، ولقبه (عضد الدين شمس الدولة) ، ولما توفي وهو باصفهان استوزر الخليفة عميد الدولة ابا علي بن صدقة ولقبه (جلال الدين صدر الوزراء ، صفي امير المؤمنين) ، وكان كاتبا بليغا فصيحاً كريما كافيا ، يملأ العين والقلب له رواء ومنظر وسكينة ، وكان حسن التدبير للامور ، محبا لاهل العلم كثير الميل الى ارباب الصلاح والدين[٤٠] . وقد اسهم هذا الوزير في القضاء على فتنة أبي الحسن بن المستظهر ، فكافأه الخليفة بان خلع عليه (الجبة الممزج على العادة والفرجية النسيج فوقها والعمامة والمركب اليشم على فرس ادهم والكوس والعلم وركب من باب الحجرة والخلع عليه وارباب المناصب كلهم مشاة بين يديه حتى انتهى الى داره بباب العامة »[٤١] . ولما مات في سنة اثنتين وعشرين وخمسمائة استوزر مكانه شرف الدين ابا القاسم علي بن طراد الزينبي ، ولقبه معز الاسلام ، عضد الامام ، سيد الوزراء ، صدر الشرق والغرب[٤٢] . وفي سنة سبع وعشرين وخمسمائة عزله بتهمة جمع الاموال ، وصادره على مائتي الف دينار ، فاستوزر مكانه شرف الدين نوشروان بن خالد ، الذي بقي في الوزارة مدة سنة واحدة ثم عزله بتهمة التواطؤ مع السلاجقة واعاد شرف الدين الزينبي الى الوزارة ثانية ، اما نوشروان ، فقد التحق بحاشية مسعود السلجوقي الذي اتخذ منه وزيرا له وهو في همذان[٤٣] .

وكان على القضاء قاضي القضاة عماد الدين ابو الحسن علي بن محمد الدامغاني ، فلما توفي رتب الخليفة في منصبه الاكمل بن نور الهدى ، ولقبه فخرالدين ، وجعله قاضي القضاة شرقا وغربا ، وقبض على ابي طاهر بن الخرزي صاحب المخزن وصادره ثم اطلقه واعاده الى شغله ثم افتقدوه من داره ، واصبح والناس يتطلبونه فما عرف له خبر الى الآن . ويقال انهم اغتالوه بحيلة تمت عليه ، ورتب في مكانه القاضي فخر القضاء ابن السيبي ، ولقب بـ (خالصة الدولة) ، وقلد الخليفة ابا الفتوح حمزه بن طلحة ، ابن دايته ، الحجبة الخاصة والشرطة بجانبي مدينة السلام والمظالم ولقبه بـ (الأجل اثير الدولة) ثم بعد ذلك بسنة نقله من الحجبة الى المخزن وزاد في القابه (كمال الدين عضد الاسلام) وقدمه حتى جعله في درجات الوزراء ، واستحجب مكانه ضياء الدولة ابا الفضل هبة الله بن محمد بن الحسن بن الصاحب ، ولقبه بـ (الأجل مجد الدين قوام الاسلام)(٤٤) .

ويذكر في هذا الصدد ونحن نتحدث عن الوزارة ان الامير ابا الحسن بن المستظهر لما هرب ونادى بنفسه خليفة اتخذ من ابي دلف بن زهمويه وزيرا ، ولما قبض على الامير أسر معه الوزير وشهر به على رؤوس الاشهاد ، فقد البس قميصا احمر وسراويل صفرا وعلق في اذنيه اربع تقبلات ، والبس في رجليه نعلين من الخشب وترك على راسه برنس قد علقت فيه التواسيم واذناب الثعالب والغار الموتى ، وأركب على جمل وجعل ذنب الجمل في يده ، وأركب خلفه نفاط يصفعه بجراب ، وسود وجهه وضربت

الدبادب والبوقات بين يديه في الاسـواق والصبيان يـدبدبـون بالصواني والاطباق وبعضهم بالخزف المكسر ويصيحون :

أيا وزيـر الوزرا كـذا تقـاد الأُسـرا

ثم لما طيف به جميع البلد حطوه من الجمل واودعوه في الحبس ثم قتلوه[٤٥] . والى جانب ما ذكرنا هناك منصب الشحنة وهي بمثابة الامير او رئيس الشرطة او بمعنى الحامية ، وهي اعلى وظيفة سلجوقية في الدولة العباسية وصاحبها ممثل السلطة السلجوقية في البلد[٤٦] .

خلافه مع اخيه ابي الحسن :

اجمع كل ابناء المستظهر بالله واقاربه وخاصته على بيعة المسترشد بالله الا اخوه ابو الحسن الذي استغل انشغال الناس بمراسيم عزاء ابيه وبيعة اخيه وركب تحت جنح الظلام في سفينة ومعه ثلاثة انفار ، قيل ان احدهم كان هاشميا من حراس قصر التاج[٤٧] ، ومضى الى المدائن ومنها الى الحلة مستجيرا بصاحبها دبيس ابن سيف الدولة صدقة المزيدي ، الذي علم منـه وفاة المستظهر بالله وبيعة المسترشد بالله للخلافة ، فرحب به دبيس واكرمه وخصص له دارا تليق به ، تسمى بدار الذهب[٤٨] ، وبالغ في التقرب اليه حتى انه كان يدخل عليه كل يوم ويقبل الارض بين يديه ويستعرض حوائجه ، فلما علم المسترشد بالله خبره ، اهمه ذلك واقلقه فارسل نقيب النقباء ابا القاسم شرف الدين علي بن طراد الزينبي ليأخذ البيعة على دبيس ويستعيد اخاه ، فاعطى دبيس البيعة ولكنه اعتذر عن تسليم الامير ابي الحسن الا اذا

رضي هو بذلك ، عند ذلك دخل النقيب على الامير ودعـاه باسم الخليفة ، فقال الامير : ان بخروجه الى الحلة لا يضمر عـداء لاخيه وانما خوفا من ان يصاب بمكروه بسبب خصومة له مع اخيه قبل وفاة ابيه[٤٩] . وانه مستعد للعودة على شـرط الامان والضمان ، وتكفل دبيس باصلاح الحال بنفسه والمسير معه الى بغداد ، لكن انشغال دبيس بحرب البرسقي أخر ذلك . لم يرض هذا الحل الخليفة فقد نحى الوزير علي بن طراد على اثر عودته ، كما قبض على صاحب المخزن ابن طاهر بن الخرزي وعلى بن كمونة وابن غيلان القاضي واخرين بتهمة التواطؤ مع الامير ابي الحسن ، مما يؤكد على ان الخلاف بين المسترشد واخيـه قد تعدى كونه خلافا بين اثنين بل اصبح مشكلة تضاف الى جملة المشاكل التي واجهها المسترشد بالله .

وفي سنة ثلاث عشرة وخمسمائة سار الامير ابو الحسن الى واسط وملكها ، واجتمعت عليه العساكر وقويت شـوكته ، وكان اول امره يخطب لنفسه بعد اخيه فلما قوي خلع الطاعة وخطب لنفسه بالخلافـة ولقب نفسه بـ « المستنجـد بالله » . وخطب لولده ابي جعفر المنصور وعمره حينئذ اثنتا عشرة سنة بولاية العهد[٥٠] ، واضطرب الناس ببغداد وقامت القيامـة على المسترشد بالله خوفا من ان يقصد بغداد وهي خالية من العسكر ويستولي على الامر خاصة وان محمود السلجوقي مشغول بعمه وهذا يعني انه غير قادر على انجاد الخليفة المسترشد بالله ضد اعدائه . بعث الخليفة كاتب انشائه ابن الانباري رسولا منه الى دبيس وبذل له ان جاء باخيه ثلاثين الف دينار بعد ان ترك ابو

الحسن الحلة ، فطلب دبيس من الخليفة ارسال ثلة من عسكره الخاص ، فأنفذ المسترشد بالله الامير نظرا في خمسمائة فارس تمكنوا من محاربته وهزيمته « ومر ابو الحسن هاربا فتبعه بدوي برمح فقال له :

ويلك انا امير المؤمنين ، فقال له البدوي : امير المؤمنين قاعد على روشن التاج ببغداد ، ثم لحقه الامير نظر فترجل وقبل الارض وقبل ركابه واخذ بعنان فرسه وادخله سرادقه واحتاط عليه وحمله الى بغداد وأُدخل اليها ليلا في الزبزب والوزير جلال الدين والنقيب شرف الدين وقاضي القضاة الاكمل وجماعة ارباب المناصب في خدمته وصعد من الزبزب الى داره واحتاطوا عليه كجاري العادة في امثاله »[٥١] .

وفي رواية اخرى ان دبيسا امتثل لامر الخليفة بمطاردة الامير ابي الحسن ، فانفذ صاحب جيشه عنان في جمع كثير فلما سمع ابو الحسن بذلك رحل من واسط ليلا فضل الطريق مع عدد من خواصه وقد اشرف الامير على الموت لشح الماء وشدة القيظ وهم في شهر تموز لولا ان ادركه نصر بن سعد الكردي الذي سقاه الماء ونهب ما لديه من المال والاحمال وحمل به الى دبيس الذي بدوره بعث به الى المسترشد بالله فكافأه بعشرين الف دينار وكانت مدة خروج الامير ابي الحسن الى ان اعيد الى بغداد احد عشر شهرا[٥٢] .

وفي عيون الاخبار انه لما مثل ابو الحسن امام المسترشد بالله اعتنقا وتباكيا وانزله الخليفة دارا كان يسكنها قبل الخلافة واحسن اليه وطيب نفسه وبذلك استقرت الخلافة بلا منازعة

للمسترشد[٥٣] .

المسترشد بالله والامارة المزيدية :

تكونت الامارة المزيدية في الحلة وتعاقب على ولاية امرها المزيديون من بني اسد ، وقد تمتعت هذه الامارة بنوع من الاستقلال الذاتي[٥٤] . وفي عهد المسترشد بالله كان صاحبها هو دبيس بن صدقة بن مزيد الاسدي ، اتصف هذا الرجل بمقدرة ودهاء وسرعة تخلص وحضور بديهة قلما تتوفر في شخص غيره ، فبدهائه ومراوغته استطاع ان يحفظ لهذه الامارة قوتها وبقاءها ، وكانت له اطماع تتعدى امارته ، وقد حاول ان يستغل الخصومات والخلافات سواء ما كان منها بين السلاجقة او بين هؤلاء والخليفة العباسي ، وهذه القابلية تفسر لنا ازدواجية ولائه للسلطة السلجوقية مرة وللخليفة مرة اخرى .

ان شخصية دبيس فريدة من نوعها ، عاصر الخليفة المسترشد بالله حتى مقتله مرة له ومرة عليه ، فعندما تولى المسترشد بالله الخلافة بايعه دبيس على الطاعة ، ومع التجاء الامير ابي الحسن اليه الا ان علاقته بالخليفة ظلت حسنة في الظاهر الى ان سلم الامير أبا الحسن واقعد في الدار العزيزة . ويظهر ان دبيسا اراد ان يجعل من الامير ابي الحسن رهينة عنده يهدد به الخليفة كلما اراد الوصول الى شيء يروم بلوغه او امل يبغي تحقيقه ، فقد طلب من المسترشد بالله دفع مبلغ المال الذي كان قد وعده به ، او اعادة الامير ابي الحسن اليه ثانية ، فرفض الخليفة هذا الطلب مما اساء دبيساً ، حتى انه « امرج

اصحابه في نواحي الخليفة ونهب السواد واحرق الغلات وركب يوما الى الميدان فجرى بينه وبين الامير علم الدين عفيف كلام ، فقال له دبيس : والله لا نقضن الدار حجرا حجرا وما انا بدون البساسيري ، ثم ان عفيفا بلغ الخليفة مـا قاله دبيس »(٥٥) ، واكثر من هذا فان دبيسا صنع الخطبة للخليفة الى درجة انه : « كسر المنبر كي لا تقام عليه جمعة ولا يخطب فيها لاحد »(٥٦) .

استدعى الخليفة محمود السلجوقي الذي قويت سلطته بعد ان انتصر على اخيه الملك مسعود ، فوصل محمود في اسرع مدة وكان ذلك في سنة اربع عشرة وخمسمائة للهجرة ، « وحين وصل الى النهروان ، خرج الوزير جلال الدين وجماعة ارباب المناصب لاستقباله على العادة ودخل البلد وجلال الدين عـلى يمينه وقيصر الخادم على يساره ، وكان اتابكه ، وما تركه الخليفة يستقر ببغداد الا اياما ونفذه الى الحلة لدفع دبيس عن العراق ، وذلك بعد ان خلع عليه وطوقه وسوره وتوجه وخلع عـلى وزيره نظام الدين السميرمي وعلى جماعـة ارباب دولتـه وعلى سـائر الامراء الذين كانوا في جملته »(٥٧) . اما دبيس فقد حـاولى ان يلعب لعبة مزدوجة ، ففي الوقت الذي ارسل زوجته ابنة عميد الدولة ابن جهير يطلب الصفـح ، استنفر عسكـره للمسير الى بغداد ، ولكن هذه اللعبة لم تنطل على السلطان بمشورة الخليفة فانفذ اليه جيشا يقوده برنقش الزكوي لاحق دبيسا الذي كان قد هرب من الحلة ، « ومعه الف مولد في وسط كل واحد هميان فيه الف دينار كانت رزق الكـرج ومضى من هذا المـال وانقلع بيته وخسر في الحلة في كل سنة الف الف وسبع مائة الف وخمسين

الف دينار ، كل هذا لاجل ثلاثين الف دينار لج مع الخليفة في طلبها وباع بها دينه ومروءته وذمام العربية ، فلا جرم ما حصلت له من الامور ولا بقي عليه ما كان فيه ، وصار مشـردا طريدا تتقاذف به العراق وخراسان وسائر بلاد الاسلام »[٥٨] . ثم ان دبيسا طلب الصلح على ان يرسل اخاه منصورا رهينة »[٥٩] .

وقيل ان دبيسا بعد ما اصابه « التحق بالافرنـج ورفع الصليب على رأسه وشد الزنار ودعاهم الى حصار حلب وجـاء معهم ونزل عليها .. وبغياب السلطان محمود وجد دبيس فرصة فهجم على الحلة ودخلها من طريق الشام وملكها واجتمع عليه في اسبوع واحد من الاعراب ما لا يحصى عدده ، وخاف المسترشد بالله من مثل نوبة البساسيري ، فنفـذ قسيم الدولة آق سنقر البرسقي »[٦٠] ، وكان الخليفة قد طلب من محمود السلجوقي تعني البرسقي شحنكيه بغداد والعراق[٦١] ، وبالفعل استدعي البرسقي من الموصل ، « وسار الى دبيس في خمسة الاف لابس فهزمهم دبيس (عند نهر شرقي الفـرات)[٦٢] ونهبهم وعادوا عراة حفاة الى بغداد »[٦٣] ودبيس في اثرهم ولما دخل بغداد طلب من الخليفة العفو والصفح عنه ، ولكن دبيس كعادته في كل مرة قلب ظهر المجن على المسـترشد بـالله وراسله مهددا ومتـوعدا ومطالبا باطلاق سراح اخيه منصور ومحتجا على استيزار ابي نصر احمد بن نظام الملك ، وبالغ في الوعيد ولبس السواد وجز شعـره وحلف لينهبن بغداد[٦٤] ، فثـارت ثائـرة الخليفة وامـر بمكاتبة الاطراف واستدعى اصحابها ، فقدم عليه السعدية من واسط ، وزنكي بن آق سنقر من البصرة ، وطغان رسلان من

ديار بكر وبني صلتق وبني بوقه وقفجاق التركماني ، واخوته واجتمع ببغداد اثنا عشر الف فارس ، وظهر الخليفة بنفسه يوم الجمعة بعد الصلاة وهو اليوم الرابع والعشرون من ذي الحجة سنة ست عشرة وخمسمائة ، وعزل وزيره جلال الدين واستوزر قوام الدين احمد بن نظام الملك وغير لقبه وجعله نظام الدين(٦٥)
ويذكر ابن الاثير ان الخليفة سار بجيش تعداده ثمانية الاف فارس وخمسة الاف راجل وعبر بهم دجلة والتقى بجيش دبيس الذي تعداده عشرة الاف فارس واثنا عشر الف راجل بينهم البغايا والمخانيث بالملاهي والزمور والدفوف(٦٦) ، ودارت بين الطرفين رحى حرب ضروس انهزم فيها دبيس وعبر الفرات فرأته امرأة عجوز ، فقالت له : دبير جئت ، فقال : دبير لم يجيء وسار الى البصرة ومنها الى قلعة جعبر(٦٧) .

التجأ دبيس هذه المرة الى الملك طغرل بن محمد بن ملكشاه ، مستغلا خلافه مع اخيه محمود السلجوقي واتفق معه على المسير الى بغداد ومعهم يرنقش الزكوي بخطة ان يتولى دبيس والزكوي الحرب في حين يتقدم طغرل نحو بغداد لفتحها ، ولكن مرضه الشديد وغزارة الامطار التي احدثت سيولا مدمرة وتعب الجند من كثرة المسير ونفاد المؤونة حال دون ذلك ، وعند الدسكرة فوجيء دبيس واصحابه بالخليفة مشرفا عليه فبادر لتوه قائلا : انا العبد المطرود فليعف امير المؤمنين عن عبده ، وكرر ذلك ، فهم الخليفة على العفو عنه لولا نصيحة الوزير جلال الدين بن صدقة الذي ثناه عن هذا الرأي ، ومضى دبيس وطغرل الى السلطان سنجر الذي سجنه تقربا الى الخليفة المسترشد

بالله ، الذي صفح عنه بوساطة من محمود السلجوقي ، ولكن دبيس استغل مرض الاخير وهو في بغداد وسار الى الحلة وملكها بعد ان هرب منها بهزور شحنة بغداد ، فاغضب ذلك الخليفة والسلاجقة معا ، فراسلهما دبيس طالبا العفو وقدم لمحمود السلجوقي هدايا بلغت ثلثمائة حصان منعلة بالذهب ومائتي الف دينار[٦٨] ولما لم يفلح في مسعاه هرب الى البصرة ومنها الى بلاد الشام حيث اسره تاج الملك بوري صاحب دمشق وسلمه الى عماد الدين زنكي صاحب الموصل الذي اتفق معه على المسير الى بغداد سنة ٥٢٦ هـ[٦٩] . فخرج اليهما المسترشد وهزمهما عند عقرقوف وعاد دبيس مرة اخرى محتميا بالسلطان سنجر .

شهد دبيس اخر معارك الخليفة المسترشد بالله مع السلطان محمود وقد ائتمنه السلطان وارسله الى الحلة ولكن دبيس لم يكن مخلصا حقا للسلاجقة لانه كان يعمل سرا على تقويض سلطنتهم والاتفاق مع اعدائهم وافشاء اسرارهم ، من ذلك انه لما كتب الملك مسعود الى عماد الدين زنكي صاحب الموصل يستدعيه للفتك به ، راسل دبيس زنكي سرا وحذره من مغبة المجيء واعلمه بالامر المبيت ضده وقد انكشفت فعلة دبيس فارسل اليه مسعود السلجوقي وقال له : هذا جزاء من يخون مولاه وضرب راسه ، ولما بلغ زنكي ذلك ، قال : « فديناه بالمال وفدانا بالروح »[٧٠] وبذلك اسدل الستار عن دبيس السياسي المراوغ الذي شغل الخلافة العباسية والسلطنة السلجوقية مدة تقرب من عشرين سنة .

المسترشد بالله والجيش :

منع الخليفة من تكوين الجيوش والاتباع في عهد الغزاة السلاجقة ، ولم يسمح للخليفة الا بعدد من الجند يشكلون حرسه الخاص يتناوبون حمايته في حله وترحاله ، واصبحت سلطة الخليفة مرتبطة بسلطة السلاجقة بل صارت جزءا منها ، ولم يبق للخليفة الا مركزه الديني ، وحددت له قطائع معينة يصرف من ايرادها ، وهذه العزلة التي فرضت على الخليفة تفسر لنا لماذا عجز الخلفاء العباسيون عن استئصال الحركات المناوئة ؟ هذه الحركات التي نشطت وتعددت في ظل هذه الاجواء . الا ان المسترشد بالله كسر هذا الطوق وبدأ منذ ان آلت اليه الخلافة كفاحا دؤوبا من اجل استرداد هيبة الخلافة ، والعمل على التخلص من التسلط السلجوقي ، يعبر المسترشد بالله عن ذلك بقوله : « فوضنا امورنا الى آل سلجوق فبغوا علينا ، فطال عليهم الامد ، فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون »[٧١] ، وضمن هذا التوجه التحرري عمد المسترشد على خلق جبهة قوية معادية للغزو السلجوقي وذلك باستقطاب كل من يعادي هذا التسلط في جيش هدفه الاول الحد من سلطاتهم ثم التخلص منهم ، فقد حاول الاتفاق مع دبيس امير المزيديين في الحلة الا ان دبيسا كان ثعلبا مراوغا لا يؤتمن جانبه لذلك جرد المسترشد بالله سيفه وقاد عسكره ، واحرز انتصارا مهما ، فكانت هذه الحرب بالنسبة للمسترشد بالله تجربة رائدة اظهرت قوته وبرزت مقدرته العسكرية وعكست تأييد الناس له ولا سيما

البغادة منهم ، ولوحت ولو من بعيد للسلاجقة بان هذه القـوة المتمثلة في الخليفة الجديد خطر عليهم ، من ذلك ما قاله يرنقش الزكوي شحنة بغداد لمحمود السلجوقي : « من ان الخليفة قد قاد العساكر ولقي الحروب وقويت نفسه وحتى لم تعاجله بقصد العراق ازداد قوة وجمعا .. »[٧٢] . وبالفعل اقتصد المسترشد بالله في جميع الاموال وفرض الضرائب وحصر جل نفقاته على الجيش لاكثار عدده وتقوية عدته وسلاحه . اخذ المسترشد بالله يستعد لطوارىء الحرب ضد السلاجقـة ، وبدأ ببنـاء السور (سور بغداد الشرقية) الذي يعد من الاعمال الجليلة للخليفة المسترشد بالله لحمـايـة بغـداد من الغـارات والاعتـداءات الخارجية[٧٣] ، كما انه حاول ان يبرز روح الشقاق والخصومة بين ملوك السلاجقة أنفسهم بقصد اضعافهم وكسر شوكتهم .

ان حروب المسترشد بالله مع دبيس ومحمود السلجوقي وحصار الموصل اعطت دليلا على أن الخلافة العباسية في عهد المسترشد بالله قد اعادت بعضا من سلطتها ومكانتها وهيبتها وحيويتها ونشاطها ، فلاول مرة يخرج الخليفة العباسي على رأس جيش يقوده بنفسه خـارج العاصمـة بغداد[٧٤] ، وبـذلك مهد المسترشد بالله الطريق للخليفتين اللذين جاءا بعده وهما الراشد بالله مع مدة حكمه ، والمقتفى لامر الله .

اقسام الجيش في عهده :

اتبع العرب في جل معاركهم ما يسمى بنظام الخميس ، الذي يعني تقسيم الجيش الى خمسة اقسام مؤلف من القلب في

الوسط وهو محل الخليفة او الامير ومقر القائد العام وحاشيته ، والجناحين الايمن والايسر ويقود كل منهما احد القواد المساعدين وفيهما الخيالة بالدرجة الاولى ، ثم المقدمة في الامام ومنها ترسل الطلائع للاستكشاف ، ثم الساقة او المؤخرة في الخلف لحماية الجيش وفيه عادة جند عرفوا بالصبر والثبات وفيها ايضا الامتعة والمؤونة وبعض عوائل الجند والحيوانات[٧٥] .

استمر هذا التقسيم متبعا في مختلف مراحل الحكم العربي الاسلامي الراشدي والاموي والعباسي ، وفي المدة التي نحن بصدد البحث فيها ، قسم المسترشد بالله جيشه الذي اجهد نفسه في تكوينه الى الاقسام الخمسة نفسها تقريبا ، ففي حربه مع دبيس بن صدقة امير المزيديين في الحلة سنة ٥١٧ هـ ، جعل عماد الدين زنكي والامير ابا بكر البكجي على الميمنة[٧٦] ، والامير كرباوي بن خراسان على الميسرة[٧٧] ، وسليمان بن مهارش على الساقه[٧٨] ، اما الخليفة فقد وقف في موكبه خلف العسكر بحيث يرونه والقراء بين يديه والمصاحف منشورة في ايدي اهل بغداد[٧٩] . وجدير بالذكر ان الامير اق بوري قد وقف على كمين مؤلف من خمسمائة فارس انقضوا على عسكر دبيس عند اشتداد المعركة من الخلف فكان لهذه الخطة التي رسمها المسترشد بالله الفضل في احراز الانتصار[٨٠] . وفي حربه سنة ٥٢٦ هـ ضد دبيس بن صدقة وحلفائه ، قسم جيشه تقسيما محكما فقد جعل جمال الدين اقبال على الميمنة ، ونظر الخادم على الميسرة ، ووقف المسترشد بالله من وراء الجند في

خاصته والسيف بيده[٨١] ، وفي اخر حروبه مع مسعود السلجوقي عام ٥٢٩ هـ ، قسم المسترشد بالله جيشه على ميمنة جعل فيها يرنفش بازدار ، ونور الدولة سنقر ، وقزل اخر ، وبرسق بن برسق[٨٢] ، وعلى الميسرة جاولي وبرسق شراب ، في حين وقف الخليفة على فرسه في القلب اي في الوسط ، فلما التحم القتال عذرت ميسرة الخليفة ومالت الى عسكر السلاجقة التي دارت حول عساكر الخليفة ، وهو ثابت في مكانه ممتطيا جواده الى ان أُسر[٨٣] .

وللجيش العباسي اصناف منها الفرسان وهم الخيالة الذين عول عليهم المسترشد بالله في جل حروبه ، حتى بلغ عددهم خمسة عشر الف فارس في سنة ٥٢٨ هـ[٨٤] ، وكثيرا ما ترك الخليفة مجالا بين صفوف جيشه لمرور الخيالة[٨٥] .

والصنف الاخر هم الرجالة اي المشاة ويتسلحون بالسيوف والحراب والرماح والقسي والسهام ويلبسون الدروع[٨٦] ، وامراؤهم يركبون الخيل ، وقائد الرجالة لا يكون الا فارسا ولا بد من وجودهم في كل جيش يدخل معركة انذاك .

وهناك اصناف أخرى مثل النشابين الذين يرمون النشاب ويسمون بالنشابة ، والعياريين الذين يرمون بالحجارة من المقالع والمخالي[٨٧] والمهندسين ويسمون بالفعلة ، والسقاة واصحاب المؤونة والطعام ، ومن يتولى الاسعاف والتطبيب وتضميد الجرحى .

رتــب الجنــد :

بلغت الرتب العسكرية غاية تنظيمها في العصر العباسي ، وكانت تختلف من عصر الى اخر ، ولكن الشــائع هــو ان رتبة الجندي ادنى الرتب العسكرية وان امير الجيش او القائد الاعلى هو اعلى الرتب ، وفي بعض الاحيان يتقلدها الخليفة بنفسه كما حدث في عهد المسترشد بالله الذي قاد الجيش العباسي بنفسه على طول الخط[٨٨] ، وهدفه من ذلك رفع معنويات الجند وصولا الى هدف الاستقلال والتخلص من النفوذ السلجوقي ، فالخليفة هو القائد الاعلى للجيش وتحت امرته كل المراتب والاجناد ، ويليه مساعد القائد العام وعارض الجيش الذي هو بمثابة رئيس اركان الجيش ، ويوكل اليه الخليفة مهمة تعبئة العسكر والاشراف على سير المعركة ، وقد تولى هذا المنصب في حرب ٥١٧ هـ البرسقي ، وامره الخليفة بمهمة التعبئة والمتابعة ولذلك وقف على نشز من الارض[٨٩] .

ويلي العارض مساعدان برتبة قائد احـدهما يكـون على الميمنة والاخر على الميسرة وهنـاك رتبة مقـدم يتولى فـرقة من جماعة او قبيلة ، ففي حرب عام ٥٢١ هـ كان على عسكر بني عقيل ، سليمان بن مهارش ، وعلى عسكر البكجية ، البرسقي ، وتولى عماد الدين زنكي العسكر الذي جاء به من واسط[٩٠] . وقد يرقى المقدم الى رتبة قائد او عارض تبعا لما يرتئيه الخليفة ، فأمر التسمية والتولية موكل به .

التعبئة ونظم القتال :

تجرى التعبئة وفق نظم معينة ، وهي لا تدخل في الجيش وحده بل ان مظاهرها كثيرا ما تتعداه وفي هذه الحالة تشمل كل ما يتخذه الخليفة من اجراءات قبل بدء المعركة وتحرك الجيش وتجميع الاجناد ، ففي حرب ٥١٧ هـ لما صمم المسترشد بالله على مقاتلة دبيس بن صدقة برز الخليفة من بغداد واستدعى العساكر وجاءه امراؤها من انحاء العراق ، وبأمر من الخليفة نودي في بغداد لا يتخلف من الاجناد احد ومن احب الجندية من العامة فليحضر ، فتطوع منهم خلق كثير ، وبعد ذلك اخرجت خيام الخليفة والعسكر ونودي النفير النفير الغزاة الغزاة ثم ان الخليفة عبر دجلة وعليه قباء اسود وعمامة سوداء وطرحة وعلى كتفه البردة وفي يده القضيب وفي وسطه منطقة حديد صيني ونزل الخيام ومعه كبار رجال الدولة ، وبالغرب من نهر الملك استدعى الخليفة الامراء واستحلفهم على المناصحة في الحرب[٩١] . وفي حرب الخليفة مع السلاجقة سنة ٥١٩ هـ ، خرج المسترشد بالله من السرادق والشمسة على رأسه والوزير بين يديه ، وامر بضرب الكوسات والبوقات ، ونادى باعلى صوته يا آل هاشم ، وامر بتقديم السفن ونصب الجسر وعبر العسكر دفعة واحدة[٩٢] ، ولما اراد الخليفة تحرير الموصل سنة ٥٢٧ هـ ، رحل في شبارة اي سفينة وكان على صدرها يرنقش البازدار قائما بيده سيف مشهور ، وآق سنقر قائما بين يديه وفي الشبارة صاحب المخزن وغيرهم من رجالات الدولة ، ثم عبر الكوسات والاعلام من الجانب الشرقي الى الجانب الغربي

ونودي في الجانب الشرقي من تخلف من الجند بعد يومنا هذا ولم يعبر ، أُبيح دمه[٩٣] .

وفي يوم عيد الفطر من سنة ٥٢٨ هـ ، استعرض الخليفة جنده وعسكره « ونودي لا يختلط بالعساكر احد من العوام ومن ركب بغلا او حمارا في هذا اليوم ابيح دمه فما تجاسر احد ان يفعل ذلك ، وخرج رجالات الدولة في زي لم ير مثله من الخيل المجفجفة والعسكر اللابس والعدة الحسنة »[٩٤] .

وفي سنة ٥٢٩ هـ لما عزم الخليفة على حرب السلاجقة تقدم الخليفة الى اصحابه بالخروج وركب هو على سفينة كان فيها البازدار وبيده سيف مجذوب وقزل بين يديه وتحيط بسفينة الخليفة سفن الناس والامراء والخدم شاهرين السيوف وعند الدكة مشى المسترشد بالله والناس كلهم بين يديه الى ان دخل السرادق[٩٥] . كل هذا كان يجري قبيل بدء القتال لاظهار عظمة الخليفة وجنده ، ولادخال الرعب في صفوف الاعداء ، ولرفع معنويات المقاتلين . وفي المعارك المهمة يسير الخليفة وسط الجيش ، فاذا ما استقر في مكان تختاره عادة سرايا الاستطلاع يأخذ الجند في حفر الخنادق عند الضرورة فاذا وصل الجيش الرئيس نصبوا خيامهم واقاموا الشوارع والاسواق والميادين وفي اوقات الصلوات يؤم الخليفة الجند في الصلاة وبعدها يجلس الجميع في حلقات يرددون الدعاء بالنصر ويستذكرون قصص الحروب والامجاد وينشدون القصائد الحماسية[٩٦] .

هكذا جرى التقليد قبيل كل حرب ، وقبيل بدء المعركة يجلس الخليفة او يركب جواده وعليه الرمح والدرع والخوذ

وبيده السيف كأنه يستعد للمبارزة ، فينادي باسماء القواد والامراء ، ويأخذ العهد منهم ، واحيانا يستعرض الخليفة جنده وهو راكب على جواده ويتفقد احوالهم ويقوي من عزائمهم ، او انه يقف وراء عسكره ممتطيا جواده ليشرف على سير المعركة ومعه حاشيته والقراء بين يديه يرتلون آيات من القرآن الكريم ويدعون له بالنصر على اعدائه[٩٧] .

لقد كان لوجود الخليفة بين عسكره أثر في حماس الجند واستبسالهم وصمودهم في القتال ، ففي حرب ٥٢٦ هـ كاد عسكر الخليفة ان ينهزم « فاذا بخيمة سوداء قد نصبت عند المعركة وخرج المسترشد بالله فيها راكبا بسواده وبيده سيف مسلول فكانت الهزيمة لجيش الاعداء »[٩٨] .

عناصر الجند العباسي :

تألف الجيش العباسي بصورة عامة من فئتين :

الفئة الاولى : المرتزقة وهم الجند النظاميون الذين سجلوا في ديوان الجند من اهل الفيء والجهاد ، والفئة الثانية : المتطوعة الخارجون عن الديوان ممن يدخل الجيش حبا في الشهادة او طمعا في الغنائم وكثير منهم ممن دخلوا الاسلام من غير العرب .

اعتمد الجيش المسترشدي بالدرجة الاولى على اهل بغداد وبخاصة العوام ، فهم الذين وقفوا الى جانب الخليفة رغبة منهم في التخلص من السلاجقة ، مع ان اوضاعهم الاقتصادية سيئة وكاهلهم قد اثقلته الضرائب الفادحة ولكنهم كانوا يعزون هذا

الى وجود السلاجقة اذ لولا نفوذهم وتسلطهم على امور الدولة لما عمد المسترشد بالله الى اعداد الجيوش وصرف المبالغ الطائلة عليه وتركيز الاصلاح على الناحية العسكرية بصفتها اولوية تتقدم على الاولويات الحياتية الاخرى . وهذا الفهم كما اعتقد يعكس وعياً جماهيرياً معادياً للمتسلطين السلاجقة ، كما يعكس رأيا عاماً بغدادياً في عامته مؤيداً للخليفة المسترشد بالله ونهجه التحرري . والى جانب البغادة هناك اهل السواد الذين جاءوا من الحلة وواسط والبصرة[٩٩] . وهناك عنصر اخر شارك في معظم حروب المسترشد بالله وهم الاكراد ، وبسبب خدمتهم كمقاتلين نزح بعضهم الى البصرة والحلة وواسط وبغداد وبالقرب من تكريت في منطقة البوازيج تجمعت اعداد منهم ، اذكر من قادتهم الذين اعتمد عليهم المسترشد بالله ، ابو الهيجاء الكردي الهذباني صاحب اربل والامير عيسى الحميدي امير قلاع الاكراد الحميدية[١٠٠] .

ولعب الترك دوراً بارزاً في مسرح الحياة العامة العباسية ، وكان للجيش النصيب الاوفر في هذا الاتجاه منذ خلافة المعتصم بالله الذي استقدمهم باعداد كبيرة ، وتدريجيا تعاظم شأنهم وصاروا يقاسمون الخليفة الرأي والابهة ان لم اقل ان الدولة العباسية في مراحل ضعفها انقادت لرغباتهم وانشغلت بميولهم واهوائهم ومنازعاتهم الشخصية . وبلغ عددهم في جيش المسترشد بالله في حرب ٥١٧ هـ اكثر من خمسة الاف جندي بإمرة البرسقي[١٠١] . وفي اخر حروب الخليفة مع مسعود السلجوقي ، كان لهم وجود ملحوظ في كلا الجيشين ، الا

انهم « لما تراءى الجمعان المتقاتلان مالَ الجنس الى الجنس فمال الترك الى الترك وتفرد الخليفة مع مفرديه وخواصه »[١٠٢] .

وبين عناصر عسكر الخليفة ، الغلمان الدارية الذين كانوا يتولون حراسة دار الخلافة وقد استعملهم الخليفة في الحرب عند الضرورة فجعلهم في صحيفة الجيش[١٠٣] .

عدد الجند وامور اخرى :

ليس من السهل على الباحث ان يحدد اعداد الجند الذين استعملهم الخليفة المسترشد بالله وذلك لعدم وجود ثبت يعتمد عليه ، فحتى ديوان الجند الذي كان موجودا سابقا ، فانه غير كاف « فقد جرت العادة عدم الجمع على الجند كي لا يحاط بعدته ويطلع عليه »[١٠٤] ، ولكن يمكن استنتاج هذه الاعداد من خلال الحوادث والمعارك وما اشارت اليه المصادر من نصوص . ففي اول حروب المسترشد بالله سنة ٥١٧ هـ كان معه من المقاتلة ثمانية الاف فارس ، وخمسة الاف راجل[١٠٥] . وفي حرب سنة ٥١٩ هـ ، خرج الخليفة من باب النصر في اثني عشر الف من العساكر سوى الرجالة واهل بغداد وفرق السلاح[١٠٦] . وحاصر المسترشد بالله الموصل مدة ثلاثة ايام سنة ٥٢٧ هـ بجيش تعداده ثلاثين الف مقاتل بينهم اثنا عشر الف فارس[١٠٧] وفي السنة التالية بلغ الفرسان في عسكر الخليفة لوحدهم خمسة عشر الفا سوى ما كان غائبا منهم[١٠٨] ، وفي سنة ٥٢٩ هـ تناقص عددهم الى عشرة الاف فارس ، سار الخليفة بسبعة الاف منهم وترك ثلاثة الاف في بغداد مع جمال الدولة اقبال

الخادم[109] ، سوى ما اضيف الى الفرسان من عناصر اخرى ، ولكن ظاهرة قلة الانصار المقاتلين صدمت الخليفة وجعلته يتداول مع رجالات دولته الذين كانوا معه في كيفية الخروج من هذا المأزق ، فاشاروا عليه ان لا مفر من ملاقاة العدو الذي على بعد مرحلة عنهم[110] .

وبشأن رواتب الجند نذكر ان المسترشد بالله الذي نزع الى الاستقلال والتخلص من سيطرة السلاجقة ، ايقن ان تكوين الجيش وسيلته الى ذلك ، الا انه جوبه بعائق قلة المال ، لذلك حاول معالجة هذا الامر بترشيد الاستهلاك والاقتصاد بالنفقات وبفرض ضرائب جديدة ، ذكر ابن الجوزي : « ان المسترشد بالله بعث الى بهروز الخادم على القلعة يقول له : انت مقيم ومعك الاموال فينبغي ان تعطينا شيئا منها نفرقه على العسكر »[111] . ويعني بهم الجند المرتزقة الذين جعلهم نواة لعسكره . وهؤلاء ومن يضاف اليهم من العيارين والشطار والعوام[112] ، كانوا يجندون لقاء مبالغ توزع عليهم ومما يحصلون عليه من اموال الغنائم ، ناهيك عن بعض (البغادة) انخرطوا في عسكر المسترشد بالله بدافع كرههم للسلاجقة كغزاة محتلين يتحملون سوء الاوضاع الاقتصادية التي يعانون منها .

اما الزي الذي يرتديه الجند ، فقد كان لكل صنف منهم شارات وعلامات يتميزون بها ، وهو لا يتعدى قباء يصل الى الركبتين يعلوه سروال ثم جلباب فضفاض يتدلى الى العقبين ويشده في الوسط حزام من الحرير وفوق كل ذلك الجبة او القباء . ويرتدي الفرسان الدروع والخوذ المصنوعة من الصلب

والمحلاة بريش النسور ، اما الرجالة فيرتدون اقبية قصيرة متدلية الى ما تحت الركبة وسراويل ونعالا تشبه النعال التي نعرفها في الوقت الحاضر . وعلى العموم يتميز لباس الجند بالاقبية والقلانس السوداء ويرفعون امام الويتهم الاعلام السوداء[١١٣] .

تعددت الاسلحة التي استعلمت ، منها اليدوية التي تضرب الهدف على مسافة قريبة ، ومنها الرشيقة التي تضرب على مسافة بعيدة ، وتختلف باختلاف المحاربين ، فالفرسان يحملون الرماح والسيوف والهراوات ويلبسون الدروع وهم نواة الجيش الرئيس ويخضعون لتدريب خاص ، اما الرجالة فيحملون النشاب والسهام والتراس ، ويشكل عام يمكن تقسيم هذه الاسلحة على قسمين : اسلحة الدفاع وتشمل : الدروع ، والتروس ، والاسلاك الشائكة وسموها بالحسك الشائك وهي مثل الالغام ، ترمى في الارض لتعطب حوافر الخيل واقدام العدو المغير ، والاسوار ، والحصون ، والخنادق ، والكمائن .

والقسم الثاني : اسلحة القتال او الهجوم ، واهمها السيوف ويتمنطق بها الفرسان والخيالة ، وكان المسترشد بالله يحمل سيفا مسلولا بيدهِ كلما عزم على الحرب او اشرف عليها او استعرض عسكره ، ثم الرماح وهي انواع ويحملها الفرسان ، اما المشاة فقد استعملوا القوس والنشاب[١١٤] .

موقفه التحرري من السلاجقة :

كانت العلاقة بين الخلفاء العباسيين والسلاجقة مغايرة للعلاقة التي كانت بينهم وبين البويهيين ، ويرجع ذلك الى بعد السلطة السلجوقية عن مركز الخلافة بغداد في حين ان البويهيين احتلوا بغداد واستقروا فيها واغتصبوا معظم ما يتمتع به الخليفة العباسي من صلاحيات اللهم الا اسمه والقدسية التي التصقت به ، واكتفى السلاجقة بمن يمثلهم لدى الخليفة وعينوا لهذا المنصب الشحنة ، وقلما يأتي السلطان الى بغداد إلا بزيارة مجاملة او عند حدوث مشكلة تتطلب حضوره .

وفي اعتقادي ان السلاجقة مع انهم لا يختلفون عن البويهيين بصفة الاثنين غزاة محتلين طامعين ، الا انهم اكثر لينا وتسامحا وتفاهما من البويهيين الذين كثيرا ما يوصفون بالقسوة والعنف والعنجهية الفارسية وتراكماتها التاريخية المعادية للعرب ، ثم ان السلاجقة عاشوا في زمان تلا زمن البويهيين فربما اكتسبوا خبرة وتجربة جنبتهم اخطاء سبق ان وقع فيها غيرهم ، والسلاجقة فوق هذا وذاك قبائل بدوية وجدت ضالتها في الاسلام وتعصبت له ، ومن هنا جاء تظاهرهم بولاء الخليفة العباسي وطاعته . تولى المسترشد بالله الخلافة والسلطنة السلجوقية بيد مغيث الدين محمود بن محمد بن ملكشاه الذي بايع المسترشد بالله وتوسم فيه خيرا(١١٥) ، ولكن الخليفة الجديد لم يكن مثل سابقيه من الخلفاء الذين تركوا الامور على الغارب وانقادوا لرغبات الملوك السلاجقة ، جاء الى الخلافة وروحه تتدفق رجولة ووطنية ، عقد العزم على اعادة هيبة الدولة والتقليل من نفوذ

السـلاجقة وان شئت فقـل طردهم وتخليص ارض العراق من احتلالهم . وقد كان لحربه مع دبيس وقيادته الجيش بنفسه ومن ثم انتصاره البارع عليه صدى عظيم لدى محمود السلجوقي الذي بدأ يتوجس في الخليفة خيفة ويرى في نشاطه هذا خطرا على نفوذه .

بدأت اولى محاولات المسترشد بالله في فرض سيطرته على السلطة السلجوقية في سنة ٥٢٠ هـ عندما اختلف شحنة بغداد يرنقش الزكوي مع نواب الخليفة فتهدده الخليفة فخاف وقصد محمود السلجوقي وشكا اليه الامر وحذره من الخليفة واعلمه انه قاد العساكر ولقي الحروب واحرز الانتصارات وقويت نفسه وانه يتوسم فيه خطرا على نفوذ السـلاجقة[١١٦] ، واشـار عليه بقصد العراق ودخول بغداد والا ازداد الخليفة جمعا وقـوة ، فأثر هذا في نفسه وتوجه ، فارسل اليـه الخليفة يعـرف بحال البلاد وما اصابها من ضعف ووهن واشتـداد الغلاء وقلـة الاقوات لهرب الاكرة (الفلاحين) عن اراضيهم الزراعية بسبب حرب دبيس[١١٧] ، وطلب منه ان يتأخر في المجيء الى وقت أخر حتى تصلح الاحوال ، وحاول اغراءه بالمال دون جدوى وشجعه على ذلك عمه سنجر[١١٨] . ولما بلغ الخليفة ما عزم عليه محمود السلجوقي وسيره فعـلا ، اظهر الغضب والنـزوح عن بغداد وشرع في عمل المضارب واعتداد السلاح وجمع العساكر ونودي ببغداد بعبور الناس الى الجانب الغربي فاشتد الغلاء حتى بلغت اجرة الدار في جانب الكرخ خمسة او ستة دنانير ، وندرت الغلات وانهدمت بعض الدور بسبب هطول الامطار الغزيرة مدة ثلاثة

ايام متتالية[١١٩] ، فلما علم محمود ذلك بعث يرنقش الزكوي واسعد الطغرائي يطلب الصلح والاعتذار ، فقال لهما الخليفة : « اقول له تأخر هذا العام وهو يعصي ، بيني وبينه السيف ، وتوجه الى يرنقش قائلا له : انت السبب فقد حرضته واوغلت صدره »[١٢٠] . وهم بقتله فمنعه وزيره جلال الدين بن صدقة باعتبارهما رسولي السلاجقة واكتفى بطردهما ، مما يعكس جانبا من قوة وهيبة المسترشد بالله وكبر ما صمم عليه .

وصل السلطان الى بغداد سنة ٥٢١ هـ ونزل بباب الشماسية ودخل بعض عسكره الى بغداد ونهبوا دار الخلافة ، فضجّ اهل بغداد وثارت ثائرتهم وضربت البوقات ونادى المسترشد بالله باعلى صوته « يا لهاشم » وعبر الى الجانب الشرقي ومعه ثلاثون الف مقاتل من اهل بغداد والسواد وامر بحفر الخنادق لحفظ بغداد من عسكر السلاجقة[١٢١] ، ولكن ظروفا قاهرة حالت دون مواصلة الحرب والدفاع عن بغداد ، فقد تدهورت الاحوال الاقتصادية وانحاز بعض اعوان الخليفة الى عسكر السلاجقة ، ازاء ذلك قرر الخليفة القبول بالصلح على ان يقوم محمود السلجوقي بتقديم اعتذار عن كل ما حدث فتم له ذلك[١٢٢] .

ومع كل ما اصاب المسترشد بالله من نزول عند الصلح ونهب لدار الخلافة ، فان جانبه بقي مهابا ومركزه السياسي والديني موفورا ، فقد حدث « ان السلطان محمودا مرض مرضا شديدا وعزم على الرجوع الى همدان ووسوس له قلبه من ان

سبب ما جرى عليه من مرض هو لحربه الخليفة ، فأمر بان يحمل في محفة فحمل حوله العساكر ومر على قصر الخلافة وبعث الى المسترشد بالله يسأل مسامحته والدعاء له بالرضى عنه والصفح عن ذنوبه ، فخرجت اليه الرسالة المسترشدية بالرضى والعفو عنه فطاب قلبه وقرت نفسه ومضى الى همدان »[١٢٣] وبوفاة محمود السلجوقي سنة ٥٢٥ هـ ، احتدم الصراع بين الابناء والاعمام السلاجقة على السلطنة كل يريدها لنفسه الى ان استقرت لغياث الدنيا والدين ابي الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه .

لقد حاول المسترشد بالله زرع بذور الشقاق والخلاف بين السلاجقة بقصد اضعافهم واستنفاد قواهم ثم تحقيق خطته في التخلص منهم والاحتفاظ بالعراق مستقلا موحدا مرهوب الجانب ، وتمشيا مع هذه الخطة عزم الخليفة على ضم الموصل لاهميتها الاستراتيجية وللاهانة التي تعرض رسول الخليفة الاسفراييني على يد عماد الدين زنكي . سار المسترشد بالله سنة ٥٢٧ هـ بجيش تعداده ثلاثون الف مقاتل ، بينهم اثنا عشر الف فارس[١٢٤] ، الى الموصل وحاصرها مدة ثمانين يوما ، الا ان الاخبار تواترت اليه بان مسعودا قد انحدر الى بغداد فسارع الخليفة عائدا اليها . ومع ان الحصار لم يحقق هدفه لحصانة قلاعها الا انه اظهر جانبا من قوة وسلطة الخليفة ، كما انه اخضع مدنا وبلدانا في ذهابه وايابه وعين عليها من يثق بهم ، والحصار جدد مخاوف السلاجقة واعطى دليلا اخر يضاف الى الادلة التي هم على علم بها وهي ان المسترشد بالله طموح ينزع

الى الاستقلال ويتطلع الى سلطة عباسية مرهوبة الجانب على عكس اسلافه المتأخرين .

توجس الخليفة خيفة من مسعود السلجوقي الذي تولى السلطنة بعد وفاة اخيه طغرل السلجوقي من ان يقصد بغداد ويستولي عليها ، فاخرج الخليفة مضاربه الى الثريا سنة ٥٢٩ هـ واجتمع معه خلائق من العرب والترك والاكراد والتركمان ، وقصد همدان فحين وصل الى كرمنشاه وصله الخبر بان مسعود السلجوقي متوجه نحوه يريد محاربته وتحقيق مآربه في السيطرة على العراق[١٢٥] ، استدعى المسترشد بالله الوزير شرف الدين ابا القاسم على بن طراد الزينبي وكمال الدين ابا الفتوح حمزه بن طلحة صاحب المخزن وسديد الدولة ابن الانباري وجماعة من خواص دولته ووجوه اجناده وقواده وقال لهم : كنا نظن ان هؤلاء القوم لا يحاربون الله ورسوله باشهار السيوف في وجوهنا ، وقد بلغنا قصدهم لنا وتوجههم نحونا بنية المحاربة ، وكان أُلقي الى سمعنا انا اذا جاوزنا حلوان تتقاطر عساكر الدنيا الينا ، وقد بان لنا ان الامر بالضد من ذلك فان كل ما كنا نظنه ينضاف الينا قد انضاف اليهم وصار معهم ، ثم معنا عسكر ثقيل والخزائن فارغة وان احرجناهم في اموال المسلمين خفنا عواقب الظلم ، فقال له شرف الدين الزينبي : يا مولانا ها هنا موضع الاستشارة ، قد كنا اشرنا عليك وانت ببغداد ان تلزم سرير ملكك ولا تجعل هؤلاء خصومك فانهم يرون انفسهم بعين عبيدك واتباعك فلم تقبل وحيث خرجت ووصلت الى هذا المكان وقد بقي بيننا وبين القوم مرحلة فليس الصواب الا ان تصمم

العزم على لقائهم والنصر من عند الله تعالى »[١٢٦] .

وفي صبيحة يوم الاحد الحادي عشر من شهر رمضان من السنة نفسها ، ركب الخليفة ورتب العساكر استعدادا لملاقاة العدو ، وامر بنشر الاعلام وضرب الدبادب والبوقات الى ان توسطت الشمس كبد السماء ، فظنوا ان العدو قد هرب او عدل عن الحرب ، فطابت نفوسهم الى ظهر اليوم الثاني ، فبينما هم كذلك فاجأهم العدو من عدة مواضع والتحم الجمعان بالسلاح الابيض وتقاتلوا بالايدي ، ودارت الدائرة على عسكر الخليفة وهربت الميمنة بعد ان انكسرت ميسرة الخليفة وغدر جماعة من الترك وانضموا الى عسكر السلاجقة ولم يبق مع الخليفة الا حوالي خمسة الاف فارس ، وظاهرة التسلل التركي هذه تكررت اكثر من مرة في حروب الخلفاء العباسيين ضد السلاجقة بتأثير الميل القبلي والولاء الظاهري الذي عليه هؤلاء الجند .

قيل للخليفة : انج بنفسك ، فقال : مثلي لا يهرب .

اما لحد ضيق او مُلك الدنيا وحمل بنفسه مع من بقي معه الى ان قبض عليه وهو على عنان فرسه ، وادخل الى دهليز سرادق كان ضرب للخليفة لينزل فيه ، ثم ادخل الى سرادق مسعود السلجوقي فحين رآه قام قائما وقبل الارض بين يديه وقال له : يا مولانا اليس الله تعالى كان قد اغناك عن هذا ؟ وهب انك احتويت على ملك الدنيا أكان يمكنك المقام بكل مكان تستولي عليه او تقيم بمدينة الملك وتولى عليها غلمانك الذين ربما نصحوك وربما خانوك وقد تأدى اليك ما تم على الخلفاء قبلك من غلمانهم ونحن كنا عبيدك وطوع امرك وجدنا اعاد هذه الدولة بعدما ذهبت فما

الذي حملك على ما فعلت ؟ والان أقم اياما عندي حتى اسير في ركابك الى بغداد وأدخلك دار الخلافة وآخذ الغاشية على راسي بين يديك كما اخذها طغرلبك بين يدي جدك القائم بامـر الله . ولم يتكلم الخليفة بشيء الا انه قال : كل ذلك في الكتاب مسطور ، وبقي الخليفة معتقلا معه كل يوم يركب في المحفة ويوكل به الامير الذي يكون تلك الليلة من النوبة الى ان وصلوا الى باب مراغة ، فأمر مسعود السلجوقي فخيط للخليفة سرادق اسود ونصب فيه تخت وعليه دست وركب الخليفة من سرادق السلاجقة والملك مسعود راجل بين يديه وجماعة الامراء حتى انتهى الى السرادق الاسود ودخل اليه فارسا ونزل على التخت واجتمع عليه من كان تفرق من اصحابه حتى مقتله وهو في خيمته[١٢٧] .

مقتل المسترشد بالله :

اصطلح الخليفة مع مسعود السلجوقي على حال يؤديه الخليفة والا يعود الى جمع الجيوش لمحاربته وان يعتكف في داره ولا يمارس اي نشاط معاد للسلطة السلجوقية ، ولم يبق الا ان يعود الخليفة الى بغداد ، ولكن وصول الامير قزان خوان حاملا رسالة من الملك سنجر الى ابن اخيه مسعود[١٢٨] ، قد أخر ذلك وقد حملها خمسمائة وعشرون راكبا ومما ورد فيها « ساعة وقوف الولد العزيز غياث الدنيا والدين مسعود على هذا الكتاب يدخل على امير المؤمنين اعز الله انصاره ويقبل الارض بين يديه ويقف ويسأله العفو عنه والصفح عن جرمه واقدامه ويتنصل غاية التنصل ، فانه قد ظهرت عندنا من الاثار السمائية

والارضية ما لا طاقة لنا بسماع مثلها دون المشاهدة من الرياح ، والعواصف والبروق وتزلزل الارض ودوام ذلك عشرين يوما .. الى ان قال فالله الله ان تتلاف امرك وتحقن دم المسلمين وتعيد امير المؤمنين الى مستقر عزه وتسلم اليه دبيسا ليرى فيه رأيه .. »[١٢٩] ، فاجاب مسعود السلجوقي على ذلك وارسل الى دبيس وجيء به مكتوفا بين اربعة امراء يحيطون به من الجانبين ومع احدهم سيف مجذوب وبيد آخر شقة بيضاء ، فقال مسعود : يا امير المؤمنين هذا هو السبب الموجب لما جرى بيننا فاذا زال السبب زال الخلاف وهو الان بين يديك ودبيس يتضرع ويبكي ويقول العفو عند المقدرة ، فقال الخليفة لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وتقدم بحل كتاف دبيس الذي سمح له بتقبيل يد الخليفة وتضرع اليه بالعفو فعفا عنه[١٣٠] .

وبينما السلاجقة والناس منشغلون برسول سنجر دخل جماعة من الغلاة الباطنية[١٣١] على الخليفة وهو في خيمته وضربوه بالسكاكين عشرين ضربة ومثلوا به فجذعوا انفه واذنيه وتركوه عريان وقتل نفر من اصحابه[١٣٢] .

وكان استشهاده يوم الخميس سابع عشر ذي القعدة عام تسعة وعشرين وخمسمائة[١٣٣] ، عن عمر بلغ ثلاثا واربعين سنة وثلاثة اشهر ، وكانت خلافته سبع عشرة سنة وستة اشهر وعشرين يوما ، ودفن في مراغة[١٣٤] .

ولما وصل الخبر الى بغداد ، اجتمع ابنه الراشد وحوله اخوانه واقاربه والناس يعزونه ويبايعونه ، وفي الصباح خرج الرجال من العامة حفاة فعمدوا الى المنبر وكسروه ومنعوا الخطبة

عليه ، وقاتلوا اصحاب الشحنة انتقاما لخليفتهم وخرجت النساء منشرات الشعور ويلطمن وينظمن الاشعار ويقلن[١٣٥] :

يا صاحب القضيب ونور الخاتم
صار الحريم بعد قتلك مأتم
اهتزت الدنيا ومن عليها
بعد النبي ومن ولي عليها
قد صاحت البوم على السرادق
يا سيدي ذا كان في السوابق
ترى تراك العين في حريمك
والطرحة السوداء على كريمك

وبموت المسترشد بالله ساءت سمعة الملك مسعود ، واشارت اليه اصابع الاتهام بتدبير هذه المؤامرة سرا وبعلم عمه السلطان سنجر ، الذي قيل بانه هو الذي ارسل جماعة قيل انهم من الباطنية مع من كان مع رسوله ، ولكي ينفي مسعود التهمة التي لحقت به نسب مقتل الخليفة الى دبيس بن صدقة واشاع ذلك بين الناس وبالفعل ارسل على دبيس وقتله[١٣٦] ، ولكن ذلك لم يجد نفعا فاجماع الناس لا يبرئه وقرائن الاحوال تظهر ان مسعودا السلجوقي ضاق ذرعا بمطامع الخليفة ونوازعه الاستقلالية ، ومن الصعب قتله علنيا ، فعمد الى من سخرهم لقتله سرا ، ويندرج ضمن هذا التضليل رسالة العم سنجر والتي سبق ان اوردت نصوصا منها ، ومما يعزز ما ذهبت اليه ما جاء في رسالة الراشد بالله الى رسول مسعود في عام ٥٢٩ هـ ، الذي جاء مطالبا بالمال المستحق على المسترشد بالله في اواخر

ايامه ، قوله « اما وقد قتل المسترشد بالله بتدبيركم ... »[١٢٧] .

والخلاصـــة :

ان كبر ما فكر به المسترشد بالله وهول ما صمم عليه وما اكتنف ذلك من مراوغات دبيس بن صدقة وعماد الدين زنكي ، وخروج اخيه الامير ابي الحسن ، وقوة السلاجقة واتفاق كلمتهم تارة ، وتمزق شملهم تارة اخرى ، خلقت فيه الشجاعة والجرأة والمرونة السياسية والتردد في بعض المواقف وهو في مجتمع منقسم دينيا وسياسيا واجتماعيا ، ويعاني سوءا في الاحوال الاقتصادية التي صارت شغل الناس الشاغل ، وبين قوم يتحينون الفرص ، يتطلع كل منهم لقهر صاحبه واحتلال مقعده ، اثقلته تركة اسلافه من الخلفاء الذين سايروا السلطة السلجوقية قلبا وقالبا وجعلت من نزعته الاستقلالية خروجا غير متوقع ومغامرة طائشة . لذلك فمن غير العدل ان يوصف المسترشد بالله بعدم الرؤية والتسرع وبعد النظر وهذا ما أردتُ ان انبه له .

حقا ان المسترشد بالله اراد شيئا وشاءت الاقدار غير ذلك ، اراد ان يعيد مجد وهيبة الدولة العباسية لما كانت في ظل آبائه من الخلفاء الاوائل ، واقتنع بانه لا يمكن تحقيق ذلك الا بالتخلص من نفوذ السلاجقة فعمد الى تكوين الجيش الذي قاده بنفسه ، والى تحرير الامارات القريبة والمهمة مثل الحلة وواسط وتكريت والموصل ، وخاض اكثر من حرب مع امرائها تارة ومع السلاطين السلاجقة تارة اخرى ، ومع ان المسترشد بالله لم

يوفق في تحقيق مطمحه في الاستقلال الا انه بدأ هذه المحاولات بجرأة نادرة الى حد المغامرة وقطع فيها شوطا لا بأس به ، وعبأ الرأي العام البغدادي ضد السلاجقة بوصفهم غزاة محتلين .

ومع ما اصاب الناس في زمانه من ضنك في العيش وفداحة في الضرائب وجبايتها ، فان حبهم وطاعتهم لخليفتهم المقدام كان كبيرا لانهم وجدوا فيه منقذا ومخلصا لاوضاعهم المتدهورة حصيلة السيطرة السلجوقية ، وهو دليل فهم ووعي لحركة المسترشد بالله التي تنشد الاستقلال والتحرر من السيطرة الاجنبية .

الهوامش والتعليقات

(١) الطاهريون : اسرة فارسية كان لها نفوذ واسع في خراسان ، وينسبون الى طاهر بن الحسين احد قواد الخليفة المامون ، تولى اقليم خراسان سنة ٢٠٥ هـ ، وتكشفت ميوله الفارسية حينما قطع الخطبة للخليفة المامون سنة ٢٠٧ هـ ، معلنا بذلك انفصاله عن الخلافة العباسية ، واستمرت هذه الامارة من بعد لاولاده واحفاده الى ان سقطت على يد الصفارين سنة ٢٥٩ هـ .

- دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، رشيد الجميلي ١٩٨٤ ص ١١٢ - ١١٨

(٢) الصفاريون : اسرة فارسية تنسب الى يعقوب بن الليث الصفار الذي عمل في شبابه بصناعة النحاس عند احد الصفارين ومن هنا جاء لقبه الذي عرف به ، اتخذ من سجستان مركزا له ثم امتد نفوذه الى هراة وكرمان وشيراز واستولى على فارس ، ثم دخل نيسابور عنوة سنة ٢٥٩ هـ وقبض على محمد بن طاهر بن عبدالله بن طاهر بن الحسين اخر امراء الطاهرين ، وبعد ان ملك خراسان وفارس تكشفت اطماعه الفارسية بمحاولته غزو العراق واحتلال بغداد الا ان العراقيين الاباة الحقوا بقواته هزيمة منكرة في معركة دير العاقول .

(٣) المشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي - حافظ احمد حمدي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٥٠ ص ٢٥ وما بعدها .

(٤) السلاجقة ، تامارا رايس ، بغداد ، سنة ١٩٦٨ ، ص ١٩ ، ايضا سلاجقة ايران والعراق ، عبدالمنعم محمد حسين ، السعادة بمصر ١٩٧٠ ص ١٦ .

(٥) هرابو الحارث ارسلان المظفر البساسيري ، قائد في الجيش العباسي ووزير الخليفة العباسي القائم بامر الله وهو في الاصل مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة بن بويه ، وقد اختلف مع رئيس الرؤساء ابن المسلمة الذي طلب مساعدة السلاجقة ، في حين استنجد البساسيري المستنصر الفاطمي فامده بالاموال واستطاع من دخول بغداد ثانية سنة ٤٥٠ هـ بغياب طغرلبك عنها وبمساعدة قريش بن بدران العقيل ، فالتجا

الخليفة وابن المسلمة الى العقيلي ولكن البساسيري اصر على تسليم ابن المسلمة وقتله مما اضطر طغرلبك من العودة ثانية الى بغداد سنة ٤٥١ هـ فانهزم البساسيري ثم ان جندا من السلاجقة لحقوا بـه وقتلوه في سنة ٤٥٢ هـ ـ تامارا هامش ص ٢٨ .

(٦) السيوطي : تاريخ الخلفاء ، مطبعة المدني بالقاهرة سنة ١٩٦٤ ص ١٨١ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك ، ج ٩ ، ص ١٤٤ . ايضا ابن الاثير : الكامل في التاريخ ، ج ١٠ ، ص ٣٢٩ .

(٨) الشرق الاسلامي قبيل الغزو المغولي ، ص ٤١ .

(٩) ابن دحية : النبراس في تاريخ بني العباس ، بغداد ١٩٤٦ ص ١٤٥ .

(١٠) مرآة الزمان في تاريخ الاعيان ، سبط بن الجوزي ، حيدر اباد الدكن ١٩٥١ ج ٨ ص ٨٣ .

(١١) ابن الاثير ج ١٠ ص ٣٠١ .

(١٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والامم ، دار المعارف العثمانية ، حيدر اباد الدكن ١٣٥٩ ج ٩ ص ١٩٧ .

(١٣) مرآة الزمان : ج ٨ ص ٨٣ .

(١٤) الانباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ، تحقيق د . قاسم السامرائي ، ١٩٧٣ ، ص ٢١٠ .

(١٥) ابن تغري بردي : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، المؤسسة المصرية ، القاهرة بلا ج ٥ ص ٢٥٧ .

(١٦) مرآة الزمان ص ٧٠ .

(١٧) ابن تغري بردي ج ٥ ص ٢٥٧ .

(١٨) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٠٢ .

(١٩) المصدر السابق نفسه ج ١٠ ص ٢٠١ ، ايضا مرآة الزمان ج ٨ ص ٧٤ .

(٢٠) ابن العمراني : الانباء في تاريخ الخلفاء ، تحقيق د . قاسم السامرائي لا يدن ١٩٧٣ ص ٢١٠ .

(٢١) للمزيد من التفاصيل عن الحيص بيص يراجع وفيات الاعيان لابن خلكان .

(٢٢) النبراس ، ص ١٤٦ .

(٢٣) المصدر السابق نفسه ص ١٤٧ .

(٢٤) المصدر السابق نفسه ص ١٤٨ وفيه تكملة الشعر الذي جاء في جواب المسترشد بالله .

(٢٥) النجوم الزاهرة ج ٥ ص ٢٥٧ .

(٢٦) تاريخ الخلفاء ص ٤٣٢ .

(٢٧) الكامل ج ١١ ص ١١ .

(٢٨) تاريخ الخلفاء ص ٤٣٥ .

(٢٩) المصدر السابق نفسه .

(٣٠) المصدر السابق نفسه .

(٣١) المصدر السابق نفسه .

(٣٢) الروضتين في اخبار الدولتين النورية والصلاحية لابي شامة ، لجنة التاليف والترجمة ١٩٥٦ ج ١ ص ٨٠ .

(٣٣) تاريخ الخلفاء ، ص ٤٣١ .

(٣٤) ابن العمراني ص ٢١٠ ، روى ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٠١ ان المسترشد تولى الخلافة بعد وفاة المستظهر بالله بثمانية ايام .

(٣٥) ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٠١ وقد ذكر ابن العمراني ص ٢١٠ ، ان يوم الخميس يوافق السادس والعشرين من ربيع الاول من نفس السنة .

وفي العبر : ج ٣ ص ١٢٣ ان وفاته كانت « في منتصف ربيع الاخر » اما ابن القلانسي ، ص ٢٠٠ فيذكر ان وفاته في « الرابع عشر من شهر ربيع الاخر » .

ذكر العماد الاصفهاني في تاريخ دولة آل سلجوق ص ١٠٩ ان المسترشد هو الذي صلى على ابيه بحضور اخوانه وابناء عمومته وكبار رجال دولته . ومن مرآة الزمان ص ٧٢ « ان في يوم البيعة بين الصلاتين برز تابوت المستظهر وصلى عليه المسترشد وكبر اربعا وجلس قاضي القضاة بباب الفردوس للعزاء ثلاثة ايام » .

(٣٦) ابن الاثير ج ١٠ ص ٢٠٢ .

(٣٧) ابن العمراني ص ٢١٠ .

(٣٨) ابن الجوزي ج ٩ ص ١٩٧ .

(٣٩) ابو شامة : الروضتين في تاريخ الدولتين النورية والصلاحية ، مصر سنة

١٩٥٦ ، ج ١ ص ٧٩ .

(٤٠) ابن العمراني ص ٢١٠ .

(٤١) نفس المصدر السابق ص ٢١٢ .

(٤٢) نفس المصدر السابق ص ٢١٦ .

(٤٣) نفس المصدر السابق ص ٢١٨ .

(٤٤) نفس المصدر السابق ص ٢١٠ و٢١١ .

(٤٥) نفس المصدر السابق ص ٢١٢ و٢١٣ .

(٤٦) ابن خلدون : العبر وديوان المبتدا والخبر .. المطبعة الباسلية ، بيروت ١٩٥٧ ، ج ٣ ، ص ١٠٢٦ .

(٤٧) المنتظم ، ج ٩ ص ١٩٨ .

(٤٨) ابن طباطبا ، تاريخ الدولة الاسلامية ، دار صادر بيروت ص ٣٠٢ . ايضا الامارة المزيدية في الحلة ، رسالة ماجستير ١٩٦٥ ص ٨٩ ، وقد طبعت واعتمدت الرسالة .

(٤٩) الكامل ، ج ١٠ ص ٢٠٢ .

(٥٠) المصدر السابق نفسه ج ١٠ ص ٢٠٣ .

(٥١) ابن العمراني ص ٢١٢ .

(٥٢) المنتظم ج ٩ ، ص ٢٠٥ .

(٥٣) محمد شاكر الكتبي ، تحقيق السامر ونبيله عبدالمنعم ١٩٧٧ ج ١٢ ص ٨٢ .

(٥٤) الامارة المزيدية ص ٣ وص ٥٤ .

(٥٥) ابن العمراني ، ص ٢١٣ .

(٥٦) ابن كثير : البداية والنهاية في التاريخ ، ط ١ بمصر ١٩٦٦ ج ١١ ، ص ١٨٢ .

(٥٧) ابن العمراني ، ص ٢١٣ .

(٥٨) المصدر السابق نفسه ، ص ٢١٤ .

(٥٩) الامارة المزيدية ، ص ٨٤ وص ٩٣ .

(٦٠) ابن العمراني ص ٢١٤ .

(٦١) الشحنة اعلى وظيفة سلجوقية في الدولة العباسية وصاحبها ممثل السلطان في العراق - (العبر ج ٣ ، ص ١٠٢٦) - .

(٦٢) ما بين الاقواس من الكامل ج ١٠ ص ٢٣١ .

(٦٣) ابن العمراني ص ٢١٥ .

(٦٤) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٣٢١ .

(٦٥) ابن العمراني ص ٢١٥ .

(٦٦) ابن الاثير ، ج ١٠ ص ٢٣٢ .

(٦٧) المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٤٥ .

(٦٨) ابن الاثير ، ج ١٠ ، ص ٢٥٤ .

(٦٩) ابن العديم : زبدة الحلب في تاريخ حلب ، دمشق ١٩٥١ ج ٢ ، ص ٢٥١ .

(٧٠) المصدر السابق نفسه ، ص ٢٥٠ .

(٧١) النظامي العروضي السمرقندي ، جهار المقاله ، نقل عبدالوهاب عزام ، القاهرة ١٩٤٩ ص ٣٢ .

(٧٢) ابن الاثير ، دار الطباعة بالقاهرة سنة ١٢٩٠ ج ١ ص ٢٤٢ .

(٧٣) ابن الجوزي ، ج ٩ ، ص ٢٣٧ .

(٧٤) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، الارشاد ١٩٦٥ ، ص ٦٩ .

(٧٥) حسن ابراهيم : تاريخ الاسلام السياسي ، القاهرة سنة ١٩٥٥ ج ٣ ، ص ٢٥٨ .

(٧٦) ابن الاثير : التاريخ الباهر في الدولة الاتابكية ، القاهرة سنة ١٩٦٣ ، ص ٢٦ .

(٧٧) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣١ .

(٧٨) ابن خلدون : العبر ج ٣ ، ص ١٠٢٩ .

(٧٩) ابن الاثير : الباهر ، ص ٢٦ .

(٨٠) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٢ .

(٨١) المصدر السابق نفسه ، ج ١٠ ص ٣٥٩ .

(٨٢) ابن الاثير : الكامل ، ج ١١ ص ١٠ .

(٨٣) ابن الاثير : الباهر ص ٤٩ .

(٨٤) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٥ .

(٨٥) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٣٢ .

(٨٦) نعمان ثابت : الجندية في الدولة العباسية ، مطبعة اسعد ببغداد ١٩٥٦ ، ص ٢٢٩ .

(٨٧) المصدر السابق نفسه ، ص ١٤٣ وص ١٤٧ .

(٨٨) حسين امين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، الارشاد ، بغداد / ١٩٦٥ ص ١٤١ .

(٨٩) ابن الاثير : الكامل ، ج ١٠ ص ٢٣١ ـ ٢٣٢ .

(٩٠) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ص ١٠٣٩ .

(٩١) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٢ .

(٩٢) ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٠ .

(٩٣) ابن الجوزي : ج ١٠ ، ص ٢٩ وص ٣٠ .

(٩٤) المصدر السابق نفسه ، ج ١٠ ، ص ٣٥ .

(٩٥) المصدر السابق نفسه ، ج ١٠ ، ص ٤٤ .

(٩٦) سيد امير علي : مختصر تاريخ العرب ، القاهرة ١٩٣٨ ص ٣٧٧ .

(٩٧) ابن الاثير : الباهر ص ٢٦ .

(٩٨) المصدر السابق نفسه ، ص ٤٦ .

(٩٩) ابن خلدون : العبر ج ٣ ، ص ١٠٣٩ .

(١٠٠) ابن الجوزي : المنتظم ج ٨ ، ص ٦٠ . ايضا ابن الاثير : الباهر ، ص ٣٠ وص ٤٨ .

(١٠١) ابن خلدون : العبر ج ٣ ، ص ١٠٣٩ .

(١٠٢) دولة آل سلجوق ، ص ١٦٣ .

(١٠٣) ابن الاثير : الباهرة ، ص ٤٩ .

(١٠٤) القلقشندي : صبح الاعشى ، القاهرة ١٩١٣ ج ٤ ص ١٦ .

(١٠٥) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٣٢ .

(١٠٦) المصدر السابق نفسه ج ١٠ ص ٢٣٨ .

(١٠٧) ابن الاثير : الباهر ، ص ٤٧ .

(١٠٨) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٠ ص ٣٥ .

(١٠٩) ابن الاثير ، ج ١١ ص ١٠ .

(١١٠) ابن العمراني ، ص ٢١٩ .

(١١١) المنتظم ج ١٠ ص ٣٥ .

(١١٢) العيـارون والشـطار ، طوائف شـعبيـة عـاطلة امتـهنـت النهب واللصوصية ، انتظمت في حركات معارضة اسلوبها الفوضى وطابعها السرية ، للمزيد من التفاصيل يراجع كتـابي « الراي العام في القـرن الثالث الهجري » بغداد وزارة الثقافة والاعلام ١٩٨٧ ، ص ٩١ ومـا بعدها .

(١١٣) الجندية في الدولة العباسية ، ص ١٩٣ ، وتـاريخ الاسـلام السياسي ج ٣ ، ص ٢٨٣ القلانس : مفردها قلنسوه وهي « طاقية توضع تحت العمامة » . نقـلا عن المعجم المفصل بـاسماء المـلابس عند العـرب ، لدوزي ، تـرجمة اكـرم فاضـل مطبعـة دار الحـريـة ، بغـداد ١٩٧١ ص ٢٩٦ .

(١١٤) ابن الاثـير : البـاهـر ، ص ٤٦ . ايضـا ابن الجـوزي : المنتضـم ج ١٠ ص ٢ .

(١١٥) ابو الفوارس : اخبار الدولة السلجوقية ، تصحيح محمد اقبال ، لاهور ١٩٣٣ ص ٩٦ .

(١١٦) ابن الاثير : الكامل ج ١٠ ص ٢٤٢ .

(١١٧) ابن خلدون : العبر ، ج ٣ ، ص ١٠٤٣ .

(١١٨) المنتظم ، ج ٩ ، ص ٢٥٥ .

(١١٩) المصدر السابق نفسه .

(١٢٠) المصدر السابق نفسه .

(١٢١) الكامل : ج ١٠ ص ٢٤٣ .

(١٢٢) المصدر السابق نفسه ج ١٠ ص ٢٥٠ .

(١٢٣) اخبار الدولة السلجوقية ، ص ٩٨ .

(١٢٤) ابن الاثير : الباهر ، ص ٤٧ .

(١٢٥) ابن العمراني ، ص ٢١٨ ، ٢١٩ .

(١٢٦) المصدر السابق نفسه ص ٢١٩ .

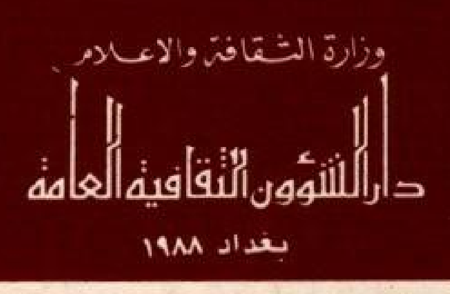
(١٢٧) ابن العمراني ، ص ٢٢٠ .

(١٢٨) دولة آل سلجوق ص ١٦٣ .

يذكر ابن العمراني ص ٢٢١ ، ان يرنقش الفخري هو الذي كتب هذه الرسالة الى السلطان مسعود .

(١٢٩) المنتظم ، ج ١٠ ص ٤٨ .
(١٣٠) الكتبي : عيون التواريخ ، وزارة الاعلام سنة ١٩٧٧ بغداد ص ٢٩٣ .
(١٣١) دولة آل سلجوق ص ١٦٣ ، ورد في الكامل ج ١١ ص ١١ ، ان عدد هذه الجماعة ٢٤ وفي المنتظم ج ١٠ ص ٥ : ان عددهم سبعة عشر . وفي ذيل تاريخ دمشق ص ٢٤٩ انهم اربعة عشر .
(١٣٢) الباطنية : نسبة الى الباطن وهو مقابل الظاهر ، وهم يجعلون لكل باطن ظاهرا ولكل تنزيل تأويلا ، ويطلق هذا الاسم على الغلاة من الفرقة مثل الاسماعيلية والقرامطة والخرامية كما يطلق على المزدكية وفي خراسان يسمون بالتعليمية .
(١٣٣) ورد هذا التاريخ وهو الراجح في الكامل والمنتظم ، في حين ان الاصفهاني في كتابه دولة آل سلجوق ص ١٦٣ ذكره في ثمان عشرة ذي القعدة .
وفي اخبار الدولة السلجوقية ذكر انه في يوم الاحد رابع شهر ذي الحجة ، وفي تاريخ الخلفاء ص ٤٣٢ : يوم الخميس سادس عشر ذي القعدة وفي عيون التواريخ ص ٢٩٤ يوم الخميس سابع عشر ذي الحجة ، ولكن الاتفاق على سنة وفاته وهي تسع وعشرين وخمسمائة .
(١٣٤) تاريخ الخلفاء ص ٣٠٣ .
وفي المنتظم ج ٩ ص ١٩٧ : ان عمره كان ثلاثا واربعين سنة وثلاثة اشهر وثمانية اشهر وثمانية ايام ومدّة خلافته سبع عشرة سنة وسبعة اشهر .
(١٣٥) المنتظم ج ١٠ ، ص ٥١ .
(١٣٦) اخبار الدولة السلجوقية ، ص ١٠٧ .
(١٣٧) المنتظم ، ج ١٠ ص ٥٤ .

الفهرست



الغلاف : رياض عبد الكريم

طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

السعر : سبعمائة وخمسون فلساً